تنبيه تحتوي هذه الصحيفة على آيات قرآنية وأحاديث نبوية، فالمرجو صيانتها عن أي امتهان

الدين النصيحة

ص: 3

فقه أولويات البناء الحضاري

ص: 7

المحجة

نصف شهرية جامعة

3 دراهم

بسم الله الرحمن الرحيم

المدير المؤسس
المغفل فلواتي رحمه الله تعالى

www.almahajjafes.net almahajjafes@gmail.com AlmahajjaJournal

المدير المسؤول : د. عبد العلي حجيج 07 شعبان 1438هـ الموافق لـ 04 أبريل 2017 العدد: 478

الدكتور عصام البشير
معالم النهوض الحضاري
بين الأصل والعصر

ص: 9-10

أسلوب القرآن الكريم في الحث على العمل

ص: 2

الإسراء والمعراج: دلالات وعبر

ص: 5

أصالة الحرف في بناء دلالة الكلمة

ص: 12

فاس: ندوة دولية في موضوع:
"ظاهرة الغلو في الدين والتطرف العنيف والإرهاب: قراءة في المفاهيم والمعالجة الأمنية والمقاربة المغربية"

ص: 8

قلعة السراغنة:
لقاء تواصلي عن تجربة التعليم الأصيل الجديد

ص: 8

افتتاحية

أيها العقلاء والمربون: الإسلام مرجعيتنا الأولى لإصلاح التربية والتعليم

لا يخفى على أحد أن أهم القطاعات الحيوية في البناء الحضاري للأمة هو القطاع التربوي والتعليمي؛ لأنه القطاع الذي به تكوِّن الأمة رجالَها، وهو القطاع الوحيد المزود لما سواه من القطاعات بالطاقات البشرية الخيرة الحاملة للصفات الوراثية للأمة الشاهدة، والمؤهلة أخلاقيا وعلميا ومهاريا للتناسل وحفظ النوع الحضاري؛ إنه القطاع الذي به تبني الأمة ذاتها، وبه تحصن موقعها، وبه تحسن واقعها، وبه تحفظ مقوماتها وتجدد ذاتها وتجود منجزاتها.

ومن هنا صح أن يعد مجال التربية والتعليم من أولى الأولويات في بناء كل أمة وحضارة، فإذا روعي حق المراعاة كانت تغذية جميع مكونات الجسم الحضارية تغذية سليمة وقوية ومتكاملة.

وعلى ضوء هذا؛ فالإصلاح الحقيقي في المجال التعليمي ينبغي أن ينطلق من أصول الأمة الإيمانية ومقوماتها الدينية الأساس؛ التي بها وجدت في التاريخ، ولن تستأنف وجودها إلا بها، وبها تميزت عن غيرها وتفاعلت مع محيطها ولن تتميز اليوم وتتفاعل من جديد إلا بهذه الأصول التي بها تحددت رسالتها في هداية الناس، وليس لها من رسالة إلا هذه الرسالة.

إن نظامنا التعليمي والتربوي مطالب بإقامة البناء العقدي والفكري والأخلاقي للأمة على هدي الوحي: فلا أخلاق من غير تربية عقدية وفكرية وفق أصولها في الوحي، ولا أمل في صلاح الأعمال والتصرفات من غير صلاح الأحوال والتصورات على هدي ما في القرآن والسنة من التوجيهات، ولا سبيل إلى بناء العمران إلا ببناء الإنسان وفق إرشادات القرآن، ولا بناء للإنسان من غير بناء الوجدان، ثم إنه لا بناء للوجدان إلا بالتربية على الاعتقاد الصحيح في الخالق الديان، وتصحيح الإيمان به وبصفات جلاله وجماله وكماله واستحضارها في مختلف أحوال الإنسان وأقواله وأفعاله؛ فبهذه الإقامة الصحيحة تصح التصرفات وتستقيم السلوكات، وتصلح العلاقات ويشيع داخل الأمة وبينها وبين غيرها الأمن والاستقرار وتتأسس أركان الازدهار.

وإن الذي يدلنا أيضا على أن التعليم والتربية هما أولى القطاعات وأجدرها بالاهتمام والمراعاة هو ما نشاهده في واقع الحضارات المعاصرة التي لم تدخل مرحلة الإفلاس إلا لما انتقلت من الإيمان إلى الإلحاد والجحود وفصل الدين عن الدنيا، ولم تترسخ جذور الفساد ولا سرت في أوصال الأمم المعاصرة إلا لما أجهز على قطاع التربية والتعليم، وصار قناة لتوزيع الأفكار الهدامة ونشر العقائد المخالفة لما يجب أن تكون عليه الإنسانية من التدين النقي والفكر السوي والتصرف الفاضل والتدبير العادل.

أيها العقلاء والمربون: ألا لا علاج ناجع وشامل لأمراض الفكر والسلوك، ولا دواء كاف وشاف لداء الإجرام في التصورات والتصرفات إلا بجعل التربية والتعليم الإسلاميين مرجعية أولى لإصلاح أوضاعنا والارتقاء بسلوكنا إلى الأفضل؛ وهو أولوية الأولويات، ويوم يلقح نظامنا التربوي والتعليمي بروح الوحي وأصول الإيمان آنذاك -وآنذك فقط- ستحل فيه الحياة وتدب إليه عوامل الصحة والقوة والمناعة؛ ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ (الأنعام: 122) وعلى قدر ما تسقى عقول الأبناء وتتغذى أرواحهم بالوحي على قدر ما تشتد وتقوى على الوجود والتفاعل المثمر والتكاثر في الخيرات ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ﴾ (الفتح: 29).

أسلوب القرآن الكريم في الحث على العمل

الأسلوب في اللغة: قال ابن منظور: (يُقَالُ للسَّطْرِ مِنَ النَّخِيلِ: أُسْلُوبٌ. وكلُّ طريقٍ ممتدٍّ، فَهُوَ أُسلُوبٌ.[..] والأُسْلوبُ الطريقُ، والوجهُ، والمَذْهَبُ)(1)، (وسلكت أسلوب فلان: طريقته. وكلامُه على أساليب حسنة)(2).

وفي الاصطلاح: (أسلوب القرآن الكريم هو طريقته التي انفرد بها في تأليف كلامه واختيار ألفاظه)(3).

ولا نروم في هذا المقال الحديث عن أسلوب القرآن من جهة ما اتصف به من جمال التعبير وبديع التصوير وبراعة الألفاظ وجودة النظم وحسن الرصف وعجيب السبك وجزالة المعاني والجمع بين الإقناع والإمتاع وما إلى ذلك..، ولكن قصدنا الإشارة إلى بعض الأدوات التي استعملها القرآن الكريم في خطاب الناس لحثهم على العمل، أي ما اختاره جل حلاله للتأثير في النفوس السوية وفي النفوس المتمردة أيضا لحملها على الطاعة والامتثال و(لا يخفى ما للأسلوب من أثر على السامع، فإنه قد يكون الأسلوب سببا في فعل الإنسان أمرا، أو سببا في ابتعاده عن آخر، ولذلك فقد تنوعت أساليب القرآن في ذلك تبعا للموضوع الذي تتحدث عنه، فتجد أساليب الطلب وأساليب الترغيب، ومثلها في الترهيب إلى غير ذلك من الأساليب)(4).

ومما تجدر الإشارة إليه أن (العمل) اقترن بالصلاح في أكثر من ثمانين (80) موضعا؛ بحيث إن (عمَل الصالحات) أو (عمَل الصالح) ضميمة هي أكثر ضمائم المصطلح ورودا في كتاب الله تعالى، ومن خلالها يظهر امتداده وارتباطه بالحياة الآخرة في أكثر موارده؛ ولا أدل على ذلك من اقترانه بالإيمان، أو -بالأحرى- اشتراط تلازمهما، ثم ما يرتب على ذلك من آثار وأجزية مرتبطة باليوم الآخر؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا نُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَنُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ (التغابن: 9)، وقوله جل شأنه: ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ (طه: 75-76). مما يدل على أن (العمل الصالح) هو جوهر هذا الدين، وهو وصية الله للنبيئين والمرسلين والصالحين من المؤمنين؛ عقيدة وشريعة وسلوكا؛ ليهنأ عيشهم في المآل، وتطيب حياتهم في الحال، كما في قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (النحل: 79)، وأساليب الحث على العمل أساليب شتى؛ تبعا لحضوره القوي في القرآن الكريم؛ ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

أ- الأمر: لأسلوب الأمر صورتان صريحتان وهما: افْعَلْ وَلْتَفْعَلْ، فإذا صدر الأمر من جهة عليا فإنه يكون على جهة الوجوب، ولا يراد به إلا الطاعة والامتثال، فكيف إذا كان الآمر هو العلي الكبير؟.

وقد أمر الله تعالى بالعمل الصالح في مواضع عدة من كتابه الكريم؛ منها قوله تعالى مخاطبا رسله الكرام: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ (المؤمنون: 51). ولا يخفى أن المخاطبين في هذه الآية -أخذا بالظاهر منها- هم المصطفون الأخيار، المسددون بوحي الله، والمعصومون بعصمة الله، وقوع غير الصالح منهم بعيد، وحرصهم على الامتثال شديد، لكن مع ذلك يخاطبون ببيان نوع العمل الذي يجب أن يأتوه، وهو أن يكون (صَالِحاً)، ثم يذيل الآية بهذا الإعلام المشعر برقابته سبحانه لهم؛ والمحذر من غفل عنها منهم.

قال الطبري: (وقوله: إنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ يقول: إني بأعمالكم ذو علم، لا يخفى عليّ منها شيء، وأنا مجازيكم بجميعها، وموفّيكم أجوركم وثوابكم عليها، فخذوا في صالحات الأعمال واجتهدوا)(5).

فإذا كان صفوة الصفوة من البشر يخاطبون بهذا التوجيه فماذا بقي لعامة الناس؟ وماذا نستفيد من ذلك غير أهمية العمل الصالح ومركزيته في هذا الدين، وأن به يتفاوت الناس ويرفع بعضهم فوق بعض درجات، وأنه المنجى والملجأ لكل العباد.

وغير هذه الآية التي مثلنا بها كثير؛كقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾ (الصافات: 60-61)، وقوله تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (التوبة: 105).

ب- الشرط: تكثر جمل الشرط المتضمنة لمعنى الأمر بالعمل الصالح أو التحفيز عليه، وفائدة هذا الأسلوب هو الربط بين أمرين يتوقف ثانيهما على الأول. فالأول -في موضوعنا- هو العمل، والثاني هو الجزاء. فنوال الثواب والجزاء متوقف على فعل المأمور به من العمل الصالح بكيفية لا تحتمل الشك، خاصة وأن المخاطب والقائل هو الله جل جلاله؛ (ومن أصدق من الله قيلا؟)، والمخاطبون هم المؤمنون المصدقون الواثقون في موعود الله، الراغبون في رضاه ورضوانه.

والفائدة الأخرى أنه يحمل شحنات تحفيزية كبيرة على إتيان العمل الصالح والاستكثار منه. فعندما يعلم الإنسان أنه بمجرد القيام بالعمل سيضمن الثواب والجزاء المترتب على ذلك العمل؛ -اعتمادا على أسلوب النظم ومعهود الخطاب من مثل قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (الزلزلة: 8)- لا شك أنه سيجتهد في تحقيق أعلى قدر من العمل، وعندما ينضاف إلى ذلك حينما يعلم أن الآمر هو الله تعالى سيجتهد في تجويده والإخلاص فيه، فيجمع بين عمل الظاهر والباطن؛ (العمل والإيمان)، الذي تؤكد عليه جل الآيات القرآنية الكريمة مثل قوله تعالى: ﴿وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ﴾ (طه: 75). وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ (طه: 112) وقوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ﴾ (الأنبياء: 94)، فهذه آيات كلها جمعت بين الإيمان والعمل، وكلها شرطية؛ جواب الشرط فيها متوقف على الشرط؛ أي فعل الشرط، وتركيبها اللفظي مستلزم دلالتها المعنوية التي يفهمها المخاطبون.

ت- الخبر: إذا كان النحاة عرّفوا الجملة الخبرية بأنها الجملة التي تحمل خبرا يحتمل الصدق والكذب، فإن ذلك لا يجوز بل يحرم بالنسبة لكلام الله تعالى الصادق المصدق لما بين يديه، والمراد: ما ورد من أوامره سبحانه ونواهيه ومواعظه وزواجره... في صورة جمل خبرية.

وقد وردت عدة آيات في كتاب الله تعالى متضمنة الحديث عن العمل الصالح على هذا النحو؛ منها ما هو مؤكد بمؤكد كقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة: 277)، ومنها ما ورد غير مؤكد كقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾ (الرعد: 29)، وجميعها تقريبا مقترنة بالإيمان -كما سبقت الإشارة إلى ذلك- وجميعها تختم بالجزاء العظيم الذي أعده الله تعالى لعاملي الصالحات في الدنيا والآخرة؛ مما يعتبر محفزا من المحفزات الإلهية على العمل الصالح ومرغبا فيه، ومنهضا للهمم للاقتداء بالذين آمنوا وعملوا الصالحات، ومشوقا لنوال ما نالوه.. فتكون الجملة الخبرية لها هذا الأثر الكبير والمدلول الهام.

ث- الاستفهام: ومعناه طلب الفهم وهو في كتاب الله تعالى يرد على غير حقيقته بل يكون تقريريا أو إنكاريا كما في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ (فصلت: 33). (ومعناه النفي وتقديره؛ وليس أحد أحسن قولا ممن دعا إلى طاعة الله وأضاف إلى ذلك أن يعمل الأعمال الصالحات، ويقول مع ذلك إنني من المسلمين الذين استسلموا لأمر الله وانقادوا إلى طاعته)(6)، وهو كذلك استفهام إنكاري في قوله تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ (ص: 28) قال ابن جزي: ("أم" هنا استفهامية يراد بها الإنكار أي: أن الله لا يجعل المؤمنين والمتقين كالمفسدين والفجار، بل يجازي كل واحد بعمله لتظهر حكمة الله في الجزاء، ففي ذلك استدلال على الحشر والجزاء، وفيه أيضا وعد ووعيد)(7). وقريب منها: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾ (الجاثية: 21).

والحمد لله رب العالمين

---

1 - لسان العرب/ سلب.
2 - أساس البلاغة لأبي القاسم محمود، الزمخشري
3 - مناهل العرفان في علوم القرآن، لمحمد عبد العظيم الزرقاني، ج 2ص 303،
4 - الإتباع أنواعه وآثاره في بيان القرآن، ج 1ص 192.
5 - جامع البيان للطبري
6 - التبيان في تفسير القرآن للطوسي.
7 - التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي.

د. خالد العمراني

الدين النصيحة

عن أبي رقية تميم بن أوس الداري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «الدين النصيحة» (ثلاثا)، قلنا لمن يا رسول الله؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم» (رواه مسلم).

النصح والنصيحة في القرآن الكريم: ورد ذكر النصح في كتاب الله ﷻ 13 مرة وبلغ عدد الآيات: 11 آية، وجاء النصح في هذه الآيات على لسان الله ﷻ في قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ (التوبة: 92).

كما جاء على لسان أنبيائه ورسله قال تعالى على لسان نوح عليه السلام: ﴿... أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف:62).

وقال تعالى على لسان هود عليه السلام لقومه عاد: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ (الأعراف: 68).

وقال تعالى على لسان صالح عليه السلام لقومه: ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾ (الأعراف: 79).

وقال تعالى على لسان شعيب عليه السلام: ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ (الأعراف: 93)

وورد النصح على لسان بعض عباد الله الصالحين: قال تعالى على لسان الرجل الصالح من أقصى المدينة لموسى عليه السلام: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾ (القصص:19).

كما جاء النصح على لسان إبليس لعنه الله تعالى، قال سبحانه: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾ (الأعراف: 19 – 20).

قاسمهما: حلف لهما بالله إنه لمن الناصحين.

– كما جاء النصح على لسان إخوة يوسف عليه السلام لأبيهم قال تعالى: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ﴾ (يوسف: 11).

من خلال الآيات يمكن أن نستنتج ما يلي:

– أن النصح تردد ذكره على لسان الله ﷻ وعلى لسان أنبيائه عليهم الصلاة والسلام، وعلى لسان بعض خلقه الصالحين والطالحين وعلى لسان إبليس. كما جاء النصح في هذه الآيات مقرونا بجملة من الصفات كالآتي:

1 – اقتران النصح بالدعوة إلى الله ﷻ وبتبليغ الرسالة، قال تعالى: ﴿أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم﴾ (الأعراف: 61)، وقال أيضا: ﴿أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين﴾ (الأعراف: 61).

2 – اقتران النصح بالعلم (المقصود بالعلم: العلم الشرعي): أي على الناصح أن يكون عالما بما ينصح به، قال تعالى: ﴿وأنصح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون﴾ (الأعراف:61).

3 – اقتران النصح بالأمانة (أي الأمانة في التبليغ): ﴿... وأنا لكم ناصح أمين﴾ (الأعراف: 68)، وقال أيضا: ﴿فالوا يا أبانا مالك لا تامنا على يوسف وإنا له لناصحون﴾ (يوسف: 11).

4 – اقتران النصح بالرعاية والتعهد، قال تعالى: ﴿وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون﴾ (القصص: 11).

5 – اقتران النصح بالتوبة، وبتكفير الذنوب والسيئات، والدخول إلى الجنة، قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار...﴾ (التحريم: 8).

6 – اقتران النصح بالقسم أو بالتأكيد دليل على الكذب. وهذا نجده واضحا من كلام إبليس قال تعالى على لسانه –إبليس–: ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾ (الأعراف: 20)، وقال تعالى على لسان إخوة يوسف: ﴿فالوا يا أبانا مالك لا تامنا على يوسف وإنا له لناصحون﴾ (يوسف: 11).

7 – على الناصح أن يقدم النصح ويسأل الله التوفيق ولا يقول كقول الشاعر:

نصحت بني عوف فلم يتقبلوا رسولي
ولم تنجح لديهم وسائلي،

وإنما يقول ما قال نوح عليه السلام: ﴿ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم وإليه ترجعون﴾ (هود: 34).

وهكذا يمكننا أن نخلص إلى الصفات المميزة للناصح وهي: – داعي إلى الله، عالم، أمين، مجاهد، صبور، صادق، تائب...، وهي صفات المؤمنين حقا.

النصح في الحديث النبوي:

ولهذا فلا غرابة أن نجد الرسول ﷺ يجمل الدين كله في النصيحة، قال ﷺ: «الدين النصيحة...» وكررها ثلاثا.

ولأهمية هذه الصفة –النصح والانتصاح– نجد الرسول ﷺ يؤكد عليها في مواقف أخرى، ويجعلها من حقوق كل مسلم على أخيه المسلم، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «حق المسلم على المسلم ست» ذكر منها: «وإذا استنصحك فانصح له».

– وفي المسند عن حكيم بن يزيد عن أبيه عن النبي ﷺ، قال: «إذا استنصح أحدكم أخاه فلينصح له».

– كما جعلها النبي ﷺ مما ارتضاه الحق سبحانه لعباده، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن الله يرضى لكم ثلاثا: يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركو به شيئا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم».

هذا عن معنى هذه الصفة وأهميتها في توحيد صفوف المسلمين واجتماعهم على الحق وكذا حكمها، أما في حق من تجب ومن المقصود بها فيوضحه الشطر الأخير من الحديث.

من يستحق النصيحة:

فقول النبي ﷺ عندما سئل: "لمن؟" قال: «لله ﷻ ولكتابه ولرسوله ﷺ ولأئمة المسلمين وعامتهم».

1 – **فالنصح لله:**

– هو أول قاعدة يرسيها القرآن الكريم، ودارت عليها جل آياته، ومكث الرسول ﷺ في غرسها في القلوب ثلاث عشرة سنة، قال تعالى: ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين﴾ (البينة: 5).

فمن النصح لله: النصح لوحدانيته ﷻ، في ذاته وصفاته الكمالية، فالناصح لله تعالى لا يشرك في عبادته أحدا، لا شركا ظاهرا جليا، ولا مستترا خفيا كالرياء وحب السمعة... قال تعالى: ﴿فاعبد الله مخلصا له الدين، ألا لله الدين الخالص﴾.

2 – **والنصح لكتابه:**

يقتضي:

- الإيمان بمتشابهه كالإيمان بمحكمه.
- العمل بما جاء به من أحكام وتشريعات.
- الدفاع عنه عند طعن الطاعنين، وتأويل المحرفين، وأن لا يتخذ لتزيين البيوت والمراكب، أو تحصنا به على هيئة تمائم وتعاويذ...، فهو الكفيل بإخراجنا من الوهن الذي نعيش فيه، وهو السبيل لتقدمنا.

أما النصح لرسوله ﷺ:

فيقتضي بذل الجهد في طاعته بطلب سنته والتخلق بأخلاقه وآدابه وتعظيم أمره ولزوم القيام به، وشدة الغضب والإعراض عمن يدين بخلاف سنته.

3 – **النصح لأئمة المسلمين:**

على نوعين: الحكام والعلماء

- فالحكام يكون النصح لهم ب:
- طاعتهم فيما يوافق الحق وما داموا على طريق الحق وطريق رسوله، قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾ (النساء: 59).

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره، ما لم يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة» (رواه أبو داوود).

- وتكون كذلك بإرشادهم إلى شرع الله تعالى، وإخلاص النصح لهم وهدايتهم إن هم انحرفوا عن الطريق المستقيم الذي رسمه الحق سبحانه لعباده، وبلغه رسوله الأمين عليه أفضل الصلاة والسلام، وهذا النوع من النصح لا يقدر عليه إلا من أوتي الحكمة والسداد من الله ﷻ.
- الصنف الثاني: هم العلماء

ويكون النصح لهم ب:

- احترامهم وتوقيرهم، والحذر من معاكستهم ومشاكستهم ومعاونتهم على الحق، والدعاء لهم بالتوفيق وحث الناس على ذلك، وذلك للمكانة التي خصهم بها الحق سبحانه، في قوله تعالى: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ (فاطر: 28).

النصح لعامة المسلمين:

وذلك بإرشادهم إلى مصالحهم وتعليمهم أمور دينهم ودنياهم وستر عوراتهم، ونصرتهم على أعدائهم ومجانبة الغش والحسد لهم: وأن يحب لهم ما يحب لنفسه ويكره لهم ما يكره لنفسه وما شابه ذلك.

مستفادات:

1 – النصيحة حق كل مسلم على أخيه المسلم لقوله ﷺ: «حق المسلم على المسلم ست، ذكر منها: وإذا استنصحك فانصح له».

2 – الانتصاح هو طلب النصح، وهو كذلك من واجبات المسلمين فيما بينهم، أخرج الطبراني من حديث حذيفة بن اليمامة، عن النبي ﷺ قال: «من لا يهتم بأمر المسلمين فليس منهم، ومن لا يمس ناصحا لله ولرسوله ولكتابه ولعامة المسلمين فليس منهم».

3 – ضرورة اختيار الزمان والمكان، والعبارات (الموعضة الحسنة) عند تقديم النصح، حتى لا تتحول إلى فضيحة.

4 – استحضار الصفات السابقة الذكر عند تقديم النصح، وعلى رأسها: الصبر، لأن النصيحة مرة قل من يقبلها، وصاحبها غير مرغوب.

5 – على الناصح أن يكون منصوحا في نفس الوقت، وأن لا يكون كمن قال تعالى في حقهم: ﴿أتامرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون﴾ (البقرة: 44).

6 – على المرء أن يتجنب كثرة التنصح لأنه يورث التهمة، قال أكثم بن صفي: إياكم وكثرة التنصح فلإنه يورث التهمة.

7 – النصيحة وسيلة ناجعة لتنقية النفس من الأمراض والمجتمع من المفاسد. لذلك وجب المحافظة عليها والحرص على التخلق بها وبآدابها.

ذ. محمد بوزين

قسيمة الاشتراك

الاسم الكامل : .....

العنوان الكامل : .....

.....

الاشتراك السنوي : 20 عددا

■ داخل المغرب : 60 درهم

■ خارج المغرب : 20 أورو أو ما يعادلها

ترسل الاشتراكات باسم :

● جريدة المحجة عن طريق الحوالة البريدية

● أو جريدة المحجة على حساب وكالة البنك الشعبي (الموحدين فاس)

رقم : 2111113412900014

أما قسيمة الاشتراك والوصل فيبعثان إلى مقر الجريدة على العنوان التالي :

جريدة المحجة حي عز الله، زنقة 2، رقم 3، الدكارات،

فاس – المغرب

الآراء الواردة في مقالات الجريدة تعبر عن وجهة نظر أصحابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي الجريدة

جريدة المحجة	المدير المؤسس	المدير المسؤول	مسؤول الإخراج	الموقع الالكتروني :	عنوان المراسلة :	الإيداع القانوني : 1994-61	الطبع : إكوبرانت
	ذ. المفضل فلواتي	د. عبد العلي حجيج	رشيد صدقي	www.almahajjafes.net	حي عز الله، زنقة 2 رقم 3 فاس المغرب	رقم الصحافة : 91/11	التوزيع : سابريس
				البريد الالكتروني : almahajjafes@gmail.com	الهاتف : 0535931113	الترقيم الدولي : 3627-1113	
					الناسوخ : 0535944454		

سلمان الفارسي رضي الله عنه ورحلة البحث عن الحقيقة : (1)

باحثون عن الحقيقة، يتلمسون منار الطريقة، ناداهم مناد؛ هيا هنا حياة الأرواح، فهلموا، وفارقوا الأشباح، هيا اركبوا سفن السلامة، قبل أن تحيطكم الأمواج العاتية فتلحقكم الندامة، فليل الباطل أوشك على الرحيل، وفجر الحق سينبلج بعد قليل، ومن هنالك من بعيد، من يثرب يتراءى شعاع نور خافت، ويأتي صوت يهمس في أذن الفارسي أن ارحل يا صاح، فهنالك بغيتك، وفيها ضالتك، فاركب قارب النجاة، وامض في الطريق على بركة الله...

رسالة النبي الكريم محمد ﷺ رسالة موجهة للعالمين، عربهم وعجمهم، وروومهم وفرسهم، وليست دعوة قومية، أو رسالة محلية، وبين ذلك ربنا سبحانه في كتابه بقوله ﷻ: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾، وقد تقدمت وقفات في هذا العمود مع هذه الآية المباركة لبيان – ضمنيا– عالَمية رسالة هذا النبي الكريم، عليه من الله أفضل الصلاة وأزكى التسليم، لكن ذلك يبقى في إطار التنظير، ولا بد له من التأكيد والتقرير، وذلك بسوق نماذج عملية، ورصد مواقف واقعية، وهذا أمر يسير؛ لأن وقوعه في السيرة كثير، فلا يُطلب من دارسي السيرة كبير جهد لالتقاط مثل هذه الدرر، وجمع هذه الغرر، وكيف يُعجز عن ذلك وقد دأبت كتب السيرة قديما وحديثا على عقد فصل خاص بعنوان: "مكاتبة الملوك والأمراء" تبين فيه دعوة الرسول ﷺ لملوك وأمراء زمانه.

وفي هذا العمود بحول الله بداية رحلة جديدة مع واحد من أولئك الرواد الذين تركوا دين الآباء والأجداد، ونبذوا وراءهم ظهريا ما كانوا عليه من طريقة، وخاضوا غمار البحث في رحلة طويلة وشاقة للوصول إلى الحقيقة، قصة ذلك الرجل القادم من بلاد فارس، يتخطى ظلام الليل الدامس، عبر محطات متعددة، ليصل إلى المدينة المنورة، ويظفر بالضالة المنشودة، إنه سلمان ابن الإسلام، عليه من الله الرضوان والسلام.

نشأة سلمان رضي الله عنه:

لا تتحدث الروايات عن أخبار سلمان في طفولته، ولا تقدم معلومات وافية عن نشأته، بل تقتصر على ذكر نبذة مجملة، ولكنها بحول الله كافية لتصور ملامح عامة عن ظروف تلك النشأة، فالرجل من أصل فارسي، من أسرة يمتهن ربها الفلاحة، ويدين بدين المجوس، بمعنى أنهم كانوا أهل شرك في ذلك الزمان، وقد تحدث سلمان بعد إسلامه عن سبب إسلامه ورحلته الطويلة، لكنه ذكر في مطلع هذه القصة العجيبة ما يفيد –في هذا المقام– في التعرف على بعض ملامح الحياة العامة والظروف التي نشأ وترعرع فيها، فقد روى أهل الحديث والسير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "حدثني سلمان الفارسي وأنا أسمع من فيه، قال: كنت رجلا فارسيا من أهل أصبهان، من قرية يقال لها جَي، وكان أبي دهقان رئيسها، وكنت أحب خلق الله إليه، لم يزل به حبه إياي حتى حبسني في بيته، كما تحبس الجارية، واجتهدت في المجوسية حتى كنت قَطن النار الذي يوقدها لا يتركها تخبو ساعة، وكانت لأبي ضيعة عظيمة...".

هذا المقتطف يقدم ملامح عامة لنشأة سلمان، فهو ابن أسرة تعتمد الفلاحة، فهي مصدر دخلها، ومرد رزقها، والعادة أن ينشأ أبناء هذه الأسر على شظف العيش وخشونته، وأن يتعودوا منذ صغرهم على الخروج للمزارع والمساعدة في حرثها والقيام بشؤونها، لكن سلمان رضي الله عنه يمثل حالة مخالفة، وظاهرة نادرة في مثل هذه المجتمعات، ويرجع ذلك أساسا إلى حب أبيه له وتعلقه الشديد به، فقد حال ذلك دون اقتحامه الحياة العامة، ومخالطة الناس، ومعرفة ما يجري في الداخل والخارج، بل يمكن أن نلمس في قوله: "كما تحبس الجارية" الشعور بالانتقاص، وعدم اكتمال مقومات الشخصية الرجولية، فالجارية هي التي تحتاج لهذا الصون، والحفظ، أما الولد فيجب أن يقذف به في معسكر الحياة ليشتد عوده، ويتعلم أمورا لا يمكنه تعلمها في البيت، ولذلك فالأب –بمعاييره ونظرته– سيؤدي ضريبة كبيرة، ويدفع ثمن هذا الحرص والدلال غاليا في أول خرجة سيخرجها سلمان من بيت الأسرة وحيدا، وهذا ما سيتبين في حلقات قادمة بحول الله.

لكن الذي ينبغي ألا يفوت التنبيه عليه هنا، والدرس الذي يمكن أن يستخلص من هذا الأسلوب في تربية الأبناء:

- **أولا:** هذا الأسلوب يجعل الولد يشعر بالدونية والانتقاص، وعدم اكتمال مقومات الشخصية المتكاملة، القائمة على حرية الاختيار، وترك هامش لابد منه لاتخاذ القرار.

- **ثانيا:** هذا الأسلوب يجعل الولد لقمة سائغة لكل تيار يمكن أن يجرفه، ويمكن استغلاله واستدراجه بسهولة، وهذا ما سيحدث لسلمان بناء على تصورات أبيه ومعاييره.

يمكن أن يستخلص من هذا الأسلوب في تربية الأبناء:
- أولا: هذا الأسلوب يجعل الولد يشعر بالدونية والانتقاص، وعدم اكتمال مقومات الشخصية المتكاملة، القائمة على حرية الاختيار، وترك هامش لابد منه لاتخاذ القرار.
- ثانيا: هذا الأسلوب يجعل الولد لقمة سائغة لكل تيار يمكن أن يجرفه، ويمكن استغلاله واستدراجه بسهولة، وهذا ما سيحدث لسلمان بناء على تصورات أبيه ومعاييره.

عبد الصمد احسيسن

إشراقة

ذ. عبد الحميد صدوق

تحريم انتساب الإنسان إلى غير أبيه

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام)) (متفق عليه).

لا يحل للولد أن ينتسب إلى غير أبيه فينضم إلى أبنائه، ويلحق نفسه بنفسه، لما في ذلك من الكذب على الحقيقة، فبنات الأسرة التي انتسب إليها يعتبرون محارمه زورا، وهن في الحقيقة أجنبيات والتعفف الجنسي والنفور الفطري بينه وبينهن في مجال الغريزة غير حاصل مما يجعل اختلاطه بهن خطرا على أعراضهن، هذا مع تسلطه على حق الغير، فإذا اعتبروه إبنا أصليا فهو يحجب الورثة المستحقين حجب إسقاط فيمنعهم من نصيبهم، وهذا عين الظلم والإعتداء على حقوق الغير، فلما تحققت هذه المفاسد كان الوعيد بقوله ﷺ: ((فالجنة عليه حرام)) قال النووي رحمه الله تعالى: فيه تأويلان: أنه محمول على من فعله مستحلاله، والثاني أنها محرمة عليه أولا عند دخول الفائزين، ثم إنه قد يجازى ثم يدخلها بعد ذلك، وقد لا يجازى بل يعفو الله سبحانه وتعالى عنه. اهـ

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((لا ترغبوا عن أبائكم، فمن رغب عن أبيه فهو كافر)) (متفق عليه).

قال النووي رحمه الله تعالى: يقال: رغب عن أبيه أي ترك الإنتساب إليه وجحده، ويقال: رغبت عن الشيء تركته وكرهته، ورغبت فيه اخترته وطلبته. اهـ

والكفر هنا كفر النعمة والمنة وليس الكفر الذي ينقل صاحبه عن الملة.

قال الطبري رحمه الله تعالى: فإن قال قائل: ما وجه الحديث وقد كان من خيار الناس من ينسب إلى غير أبيه كالمقداد بن الأسود، وإنما هم المقداد بن عمرو.

قيل: هذا لا يدخل في معنى هذا الحديث، وذلك أن أهل الجاهلية كانوا لا يستنكرون ذلك، فيتبنى الرجل غير إبنه، ولم يزل ذلك أيضا في أول الإسلام، حتى أنزل الله ﷻ: ﴿وما جعل أدعياءكم أبناءكم﴾ (الأحزاب: 4).

ونزلت الآية: ﴿ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله﴾ (الأحزاب: 5) فنسب كل واحد منهم إلى أبيه، غير أنه غلب على بعضهم النسب الذي كان يدعى به قبل الإسلام، فإذا أراد أحد تعريفه بأشهر نسبه عرفه به من غير تحول به عن نسبه وأبيه رغبة عنه، وإنما لعن النبي ﷺ المتبرئ من أبيه، فمن فعل ذلك فقد ارتكب من الإثم عظيما، وتحمل من الوزر جسيما. اهـ

الإسراء والمعراج: دلالات وعبر

الخطبة الأولى:

الحمد لله... أما بعد:

لقد أكرم الله محمداً ﷺ بالكثير من المعجزات ورفع مكانته وبيَّن فضله في الكثير من الأحداث. فمن ذلك حادثة الإسراء والمعراج. والتي اختلف العلماء والمؤرخون حول التاريخ الذي حدثت فيه إلى خمسة عشر قولا، وهذا الأمر (أي التوقيت) ليس ذا أهمية كبيرة في حياة المسلم، ولا ينبني عليه عمل، وما على المسلم إلا أن يؤمن بأنها وقعت وأنها معجزة خالدة فيها الكثير من الدروس والعبر التي ينبغي أن يُستفاد منها في فهم الدين، وتثبيت القيم، وتقوية الإيمان وتصحيح العقيدة. ومعجزة الإسراء والمعراج وقعت في مكة قبل الهجرة، وذلك بعد اشتداد أذية قريش وتكذيبها للنبي ﷺ بعد موت عمه أبي طالب، وموت أم المؤمنين خديجة، فكانت تطمينا للنبي ﷺ وربطا لقلبه، ولإعلامه أنه خاتم النبيين، وإمام المرسلين، ولقد وقع الإسراء والمعراج في ليلة واحدة، بالجسد والروح معا.

يَتَساءَلونَ وَأَنتَ أَطهَـرُ هَيكَلٍ
بِالروحِ أَم بِالهَيكَلِ الإِسراءُ
بِهِما سَمَوتَ مُطَهَّرَينِ كِلاهُما
رُوحٌ وَرَوحانِيَّـةٌ وَبَـهـاءُ

رحم الله شوقي.

جاء جبريل عليه السلام، فشق صدر النبي ﷺ، واستخرج قلبه، وغسله في إناء من ذهب وملأه إيمانا وحكمة، ثم لأم صدره مرة أخرى، ثم ركب نبينا ﷺ البُراق، وهو دابة دون البغل وفوق الحمار الأبيض، فأُسري به إلى بيت المقدس، حيث التقى بالأنبياء وصلى بهم هنالك ركعتين، ثم عُرج به إلى السماء السابعة، مرورا بالسماوات الست، حيث التقى مرة أخرى بالأنبياء آدم ويوسف وإدريس وعيسى ويحيى وهارون وموسى وإبراهيم عليهم جميعا وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام، ووصف لنا النبي ﷺ ما رآه من آيات الله الكبرى، فقد رأى البيت المعمور، وهو بيت في السماء يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، لا يعودون إليه إلى قيام الساعة، وما يعلم جنود ربك إلا هو، ورأى سدرة المنتهى، التي ثمرها مثل الجرار، وورقها مثل آذان الفيلة، ووصف لنا أنهار الجنة وبخاصة الكوثر، الذي حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف، وطينه المسك، وأُتي النبي ﷺ بإناء فيه خمر، وآخر من لبن وآخر من عسل، فأخذ اللبن، فقال له جبريل: هي الفطرة، ولو أخذت الخمر لغوت أمتك، ورأى نبينا ﷺ أصنافا من الناس يعذبون، فمن ذلك رؤيته لأناس لهم أظفار من نحاس، يخمشون وجوههم وصدورهم لأنهم كانوا يغتابون الناس في الدنيا ويقعون في أعراضهم، ورأى النبي ﷺ أقواما تُقَرَّضُ ألسنتهُم وشفاهُم بمقاريض من حديد، كلما قُرِّضتْ عادت كما كانتْ، لا يُفْتَر عنهم من ذلك شيء، قال ﷺ: ما هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاءِ خطباءُ الفتنة، وما أكثرهم في هذا الزمن حيث جرأة غير مسبوقة على أحكام الله تعالى، عياذا بالله.

عباد الله، مما رآه النبي ﷺ في هذه الليلة أنه أتى على قوم بين أيديهم لحم نظيف في قِدر ولحم أخر نيّئ في قِدر خبيث فجعلوا يأكلون من النيّئ الخبيث ويدعون النظيف فقال: من هؤلاء؟ قال جبريل قال: "هذا الرجل تكون عنده المرأة الحلال الطيب، فيأتي امرأة خبيثة، والمرأة تكون عند زوجها حلالاً طيبًا فتأتي رجلاً خبيثًا".

ثم إن نبينا ﷺ كلمه الله تعالى بدون واسطة، ففرض عليه خمسين صلاة في اليوم والليلة، وشُرعت في السماء، لتكون الصلاة معراجا ترقى بالناس كلما تدنت بهم شهوات النفوس وأعراض الدنيا، ولقد نصح نبي الله موسى عليه السلام، نبينا ﷺ أن يراجع ربه في أمر الخمسين صلاة، ففعل النبي ﷺ المرة تلو المرة حتى جعلت خمس صلوات في اليوم والليلة، بخمسين صلاة في الأجر، فالحمد لله تعالى أن خفف عنا، وأثبت لنا أجر الخمسين. وويل لمن خففت عنهم الصلوات إلى خمس، ولم يأتوا بها كاملة في أوقاتها. ولقد أتى ﷺ، على قوم تُرضخ رؤوسهم بالصخر، كلما رُضخت عادت كما كانت، ولا يفتر عنهم من ذلك شيء، فقال ما هذا؟ قال جبريل: "هؤلاء الذين تتثاقل رؤوسهم عن الصلاة". رسالة من خلف حُجُب الغيب إلى الذين يتثاقلون عن أداء الصلوات، إلى الذين لا يجدون لصلاتهم طعمًا، إلى الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها، إلى الذين ينامون عن صلاة الفجر، رسالة مفادها أن هذا المصير المفزع المؤلم ينتظرهم إن لم يتداركوا أمرهم ويتوبوا إلى ربهم. وليس أشقى على وجه هذه الأرض ممن يُحْرَمُون طمأنينة الأنس إلى الله، ليس أشقى ممن ينطلق في هذه الأرض مبتور الصلة بالله، لا يدري لما جاء، وأين يذهب، ولم خلق. إن لحظة الصلاة -أيها الأحباب- هي لحظة اتصال بالله، لحظة شهود لجلاله، لحظة تنبثق فيها في أعماق القلب البشري ومضة من ذلك النور الذي لا تدركه الأبصار. فصلاة هذه نتائجها هي معراج دائم لا ينقطع ولا ينقضي. أراد الله بفرضية الصلاة أن يكرم كل فرد من هذه الأمة المباركة المرحومة، بمعراج دائم كمعراج نبيها ﷺ معراج تعرج من خلاله الأرواح إلى ربها.

إن الصلاة، وأعني بذلك المتقبلة التي تدل على قرب صاحبها واتصاله، هي التي تدفعه دفعًا نحو ربه، هي التي تكرهه وتبغضه في المعاصي، هي التي تملأ قلب صاحبها خشوعًا وإجلالاً لمقام الله، هي التي تجعل صاحبها رحمة بين الناس أينما حل وارتحل. وأكثر الناس اليوم لا يصلون الصلوات التي شرعها الله، فصلاتهم لا حياة فيها ولا روح، إنما هي مجرد حركات جوفاء؛ لأن علامة صدق الصلاة أن تعصم صاحبها من الوقوع في الخطايا، وأن تخجله من الاستمرار والبقاء عليها إن هو ألم بشيء منها، وإن لم ترفع الصلاة صاحبها إلى هذه الدرجة، فهي صلاة كاذبة، لذلك فإن من العجب أن يكون المرء من المصلين ثم يقصد الأضرحة والسحرة والكاهنين، أين هو من ترديده لإياك نعبد وإياك نستعين؟ ومن العجب أن يصلي ولا يزكي إن أعطاه الله مالاً. ومن العجب أن يصلي ثم يأكل الربا، فالصلاة قرب، والربا بُعد وحرب، ومن العجب أن يصلي فيغش، فالصلاة طهارة والغش قذارة، ومن العجب أن يصلي ثم يشهد الزور فالصلاة نور والزور فجور، ومن العجب أن يصلي ثم يظلم، فالصلاة سلامة، والظلم ندامة، ومن العجب أن يصلي ثم يرتشي، فالصلاة رحمة والرشوة لعنة. فكيف يجتمع النقيضان. ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون﴾.

جعلني الله وإياكم ممن ذُكِر فنفعته الذكرى، وأخلص لله عمله سرًا وجهرًا، آمين، آمين والحمد لله رب العالمين.

الخطبة الثانية:

أيها الأحباب: إن رحلة الإسراء والمعراج رحلة عظيمة أراد الله من خلالها، إبرازَ مكانة نبيه ﷺ، وإكرامَ أمته، وإظهارَ رحمته. رحلة سماوية طاهرة علوية، قال تعالى عن رسوله: ﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى﴾. وهذه الآية تشعر بالعزة، وتبعث على الإحساس بالفخر والكرامة، وتدعو هذه الأمة المحمدية إلى أن تكون دائمة التألق علوية التعلق، لا شرقية ولا غربية التملق. تستمد العزة من ربها، ولا تنبطح لأعدائها، تتخذ قراراتها بنفسها؛ إذ هي أمة العلو، والأعلى لا يليق به النزول والتردي.

رحلة الإسراء والمعراج تعلمنا الثبات واليقين وتدعونا إلى عدم اليأس والقنوط، فقد جاءت هذه الرحلة بعد معاناة لاقاها رسول الله ﷺ وأذى تعرض له من قومه، فمسح الله عنه العناء، وأعلمه بمقامه. وكذلك أمته ينبغي ألا تيأس، لقد بثت رحلة الإسراء والمعراج، وما زالت، الأمل في نفوس المؤمنين، بما حملت من قيم ومبادئ وبشارات. بل إنها مَلئت قلوب المؤمنين بعظمته وقدرته وقوته سبحانه التي تصغر عندها قوة الظلمة والجبابرة. وبينت ما عند الله من نعيم وأجر وثواب لعباده، لتجعل النفوس تواصل في طريق الحق، لا تفتنها دنيا، ولا يغرها متاع، ولا تلوثها معصية. قال تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾.

إن الحديث عن رحلة الإسراء والمعراج تهتف بالمسلمين جميعًا، أن يولوا وجوههم شطر المسجد الأقصى الأسير، ليرفعوا عنه الضيم، ويفكوا القيد، ويشدوا رحالهم إليه في مسيرة كالأولى، بين الفاتحين الكرام والمحررين العظام، ديار الإسراء والمعراج التي ربطها الله برباط العقيدة، هي أمانة في أعناق المسلمين جميعاً، فكما لا يجوز التفريط بالمسجد الحرام الذي ابتدأت منه معجزة الإسراء، لا يجوز التفريط بالمسجد الأقصى الذي انتهت فيه هذه المعجزة، وابتدأت من أرضه الطاهرة معجزة المعراج بالنبي ﷺ إلى السماوات العلى، إلى سدرة المنتهى.

إن حال هذه الديار شاهد على تقصير المسلمين، حكاماً ومحكومين، في حمل الأمانة التي كلفهم الله بها وجعلهم الأوصياء عليها وعلى مقدساتها وديارها. وإن مقاومة الاحتلال شرف تعتز به الشعوب، وتتباهى به الأمم، ولقد أيقن الشعب الفلسطيني هذه الحقيقة منذ بدايات الاحتلال الإسرائيلي، وعلى مدار سبعين عاما متواصلة، قدم أرقاما خيالية من الشهداء والأسرى، والكثير من الناس لا يعرف تضحيات ومعاناة الشعب الفلسطيني الصامد الذي عملت الصهيونية العالمية على القضاء عليه وإنهاء قضيته، كما فعل بالهنود الحمر، لكن هيهات فالفلسطينيون الأحرار يرون الرباط في هذه الديار عقيدة إسلامية، فلا خوف على أهل فلسطين، أولائك رجال، أطفالهم رجال، نساؤهم رجال، رجالهم رجال، لكن علينا أن نخاف على أنفسنا وعلى أبنائنا من أن نخذل أولئك المجاهدين الأفذاذ. بعد الدعاء، يستطيع كل منا أن يدعم رباط إخواننا في القدس الشريف عبر التبرع لوكالة بيت مال القدس الشريف، التابعة للجنة القدس تحت قيادة أمير المؤمنين الملك محمد السادس حفظه الله، والتي تسعى إلى تعزيز صمود أهلها من خلال دعم وتمويل برامج ومشاريع في قطاعات الصحة والتعليم والإسكان والحفاظ على التراث الديني والحضاري للقدس الشريف. والوكالة أنجزت مشاريع في السنوات الأخيرة بقيمة بلغت أكثر من 20 مليون دولار، كلها لصالح تعزيز صمود إخواننا في فلسطين. قدم ما تستطيع، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا، حتى نبقي جذوة الشوق إلى المسجد الأقصى مشتعلة في نفوس أبنائنا؛ لأننا سنعود بحول الله إلى حي المغاربة بالقدس الشريف، إن لم نكن نحن، فأبناؤنا، وإن لم يكن أبناؤنا فأحفادنا. والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون. فنسأل الله العلي القدير أن ينصر إخواننا المرابطين في المسجد الأقصى وما حوله، وأن يوحد كلمتهم، وأن يفك أسراهم، وأن يرحم موتاهم وأن يمن علينا بصلاة في المسجد الأقصى المبارك وقد عاد إلى كنف الإسلام والمسلمين.

عمر المزوكي

نصـــوص الإعجـــاز القرآنـــي (7)

تُعنى هذه الزاوية بجمع ما تناثر من نصوص الإعجاز القرآني في غير مصادره المتخصصة، وما تناثر في هذه المصادر لكن لغير مؤلفيها، كما تُعنى بتصنيفها حسب تاريخ وفاة أصحابها، وذلك خدمة لمكتبة هذا العلم، وفتحا لآفاق جديدة للبحث فيه، ومحاولة لإقامة (الموسوعة التاريخية لنصوص الإعجاز القرآني في التراث العربي).

(تتمة نصوص ابن قتيبة (ت276 هـ))

(2)

«وتبيّنْ قولَه في وصف خمر أهل الجنة: ﴿لا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلا يُنْزِفُونَ﴾ (الواقعة: 19) كيف نفى عنها بهذين اللفظين جميع عيوب الخمر، وجمع بقوله: (ولا يُنْزِفُونَ) عدم العقل، وذهاب المال، ونفاد الشراب.

وقوله: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لا يَعْقِلُونَ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لا يُبْصِرُونَ﴾ (يونس: 42-43) كيف دلّ على فضل السّمع على البصر حين جعل مع الصمم فقدانَ العقل، ولم يجعل مع العمى إلا فقدان النظر.

وقوله: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً إِلا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾ (النساء: 145-146) فدلّ على أن المنافقين شرّ من كفر به، وأولاهم بمقته، وأبعدهم من الإنابة إليه؛ لأنه شرط عليهم في التوبة الإصلاحَ والاعتصامَ، ولم يشرط ذلك على غيرهم. ثم شرط الإخلاص؛ لأن النفاق ذنب القلب، والإخلاص توبة القلب. ثم قال: ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (النساء، 146) ولم يقل: فأولئك هم المؤمنون. ثم قال: ﴿وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْراً عَظِيماً﴾ (النساء: 146) ولم يقل وسوف يؤتيهم الله، بغضا لهم، وإعراضا عنهم، وحيدا بالكلام عن ذكرهم.

وقوله في المنافقين: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ﴾ (المنافقون: 4) فدلّ على جبنهم، واستشرافهم لكلّ ناعر، ومرهج على الإسلام وأهله. وأخذه الشاعر- وأنّى له هذا الاختصار- فقال:

ولو أنّها عصفورةٌ لحسبْتَها
مُسوَّمةً تدْعو عَبيدا وأزْنما

يقول: لو طارت عصفورة لحسبتها من جبنك خيلا تدعو هاتين القبيلتين.

... وهذا في القرآن أكثر من أن نستقصيه».

[تاويل مشكل القرآن، ص: 7-9]

(3)

«وقد قال قوم بقصور العلم وسوء النظر في قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ﴾ (الكهف: 17): وما في هذا الكلام من الفائدة؟ وما في الشمس إذا مالت بالغداة والعشيّ عن الكهف من الخبر؟

ونحن نقول: وأيّ شيء أولى بأن يكون فائدة من هذا الخبر؟ وأيّ معنى ألطف مما أودع الله هذا الكلام؟

وإنما أراد عز وجل أن يعرّفنا لطفه للفتية، وحفظه إياهم في المهجع، واختياره لهم أصلح المواضع للرّقود، فأعلمنا أنه بوّأهم كهفا في مقنأة الجبل(1) مستقبلا بنات نعش، فالشمس تزورّ عنه وتستدبره: طالعة، وجارية، وغاربة. ولا تدخل عليهم فتؤذيهم بحرّها، وتلفحهم بسمومها، وتغيّر ألوانهم، وتبلي ثيابهم، وأنهم كانوا في فجوة من الكهف -أي متّسع منه- ينالهم فيه نسيم الريح وبردها، وينفي عنهم غمّة الغار وكربه.

وليس جهلهم بما في هذه الآية من لطيف المعنى بأعجب من هذا جهلهم بمعنى قوله: ﴿وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ﴾ (الحج: 45)، حتى أبدأوا في التعجّب منه وأعادوا، حتى ضربه بعض المجّان لبارد شعره مثلا.

وهل شيء أبلغ في العبرة والعظة من هذه الآية؟ لأنه أراد: أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها، أو آذان يسمعون بها، فينظروا إلى آثار قوم أهلكهم الله بالعتوّ، وأبادهم بالمعصية، فيروا من تلك الآثار بيوتا خاوية قد سقطت على عروشها، وبئرا كانت لشرب أهلها قد عطّل رشاؤها، وغار معينها، وقصرا بناه ملكه بالشيد(2)، قد خلا من السّكن، وتداعى بالخراب، فيتعظوا بذلك، ويخافوا من عقوبة الله وبأسه، مثل الذي نزل بهم.

ونحوه قوله: ﴿فَأَصْبَحُوا لا يُرَى إِلا مَسَاكِنُهُمْ﴾ (الأحقاف: 25).

ولم يزل الصالحون يعتبرون بمثل هذا، ويذكرونه في خطبهم ومقاماتهم:

فكان سليمان عليه السلام إذا مرّ بخراب قال: «يا خرب الخربين أين أهلك الأوّلون؟».

وقال: أبو بكر رضي الله عنه، في بعض خطبه: "أين بانو المدائن ومحصّنوها بالحوائط؟... تلك منازلهم خالية، وهذه منازلهم في القبور خاوية، هل تحسّ منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا؟"...

وهذه الشعراء تبكي الديار، وتصف الآثار، وإنما تسمعهم يذكرون دمنا وأوتادا، وأثافيّ ورمادا، فكيف لم يعجبوا من تذكّرهم أهل الديار بمثل هذه الآثار، وعجبوا من ذكر الله، سبحانه، أحسن ما يذكر منها وأولاه بالصّفة، وأبلغه في الموعظة؟».

[تاويل مشكل القرآن، ص: 9-11]

(4)

«باب ذكر العرب وما خصّهم الله به من العارضة والبيان واتّساع المجاز

وإنما يعرف فضل القرآن من كثر نظره، واتسع علمه، وفهم مذاهب العرب وافتنانها في الأساليب، وما خصّ الله به لغتها دون جميع اللغات، فإنه ليس في جميع الأمم أمّة أوتيتْ من العارضة، والبيان، واتساع المجال، ما أوتيته العرب خصّيصى من الله، لما أرهصه في الرسول، وأراده من إقامة الدليل على نبوّته بالكتاب، فجعله علمه، كما جعل علم كل نبي من المرسلين من أشبه الأمور بما في زمانه المبعوث فيه:

فكان لموسى فلق البحر، واليد، والعصا، وتفجّر الحجر في التّيه بالماء الرّواء، إلى سائر أعلامه زمن السّحر.

وكان لعيسى إحياء الموتى، وخلق الطير من الطين، وإبراء الأكمه والأبرص، إلى سائر أعلامه زمن الطب.

وكان لمحمد ﷺ الكتاب الذي لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله، لم يأتوا به، ولو كان بعضُهم لبعض ظهيرا، إلى سائر أعلامه زمن البيان.

فالخطيب من العرب، إذا ارتجل كلاما في نكاح، أو حمالة، أو تحضيض، أو صلح، أو ما أشبه ذلك، لم يأت به من واد واحد، بل يفتن: فيختصر تارة إرادة التخفيف، ويُطيل تارة إرادة الإفهام، ويُكرّر تارة إرادة التوكيد، ويخفي بعض معانيه حتى يغمض على أكثر السامعين، ويكشف بعضها حتى يفهمه بعض الأعجميين، ويشير إلى الشيء ويكني عن الشيء.

وتكون عنايته بالكلام على حسب الحال، وقدر الحفل، وكثرة الحشد، وجلالة المقام. ثمّ لا يأتي بالكلام كلّه، مهذّبا كلّ التّهذيب، ومصفّى كلّ التّصفية، بل تجده يمزج ويشوب، ليدل بالنّاقص على الوافر، وبالغثّ على السمين. ولو جعله كلّه نجرا(3) واحدا، لبخسه بهاءه، وسلبه ماءه.

ومثل ذلك الشّهاب من القبس نبرزه للشّعاع، والكوكبان يقترنان، فينقص النّوران، والسّخاب(3) ينظم بالياقوت والمرجان والعقيق والعقيان، ولا يجعل كلّه جنسا واحدا من الرفيع الثّمين، ولا النّفيس المصون».

[تاويل مشكل القرآن، ص: 12-13]

---

1 - مقنأة الجبل: الموضع الذي لا تصيبه الشمس.
2 - الشّيد: كل ما طلي به الحائط من جص وبلاط.
3 - النجر: اللون.
4 - السخاب: كل قلادة كانت ذات جواهر، أو لم تكن.

د. الحسين زروق

اقرأ كتابك !

سألت صاحبي: متى ستنتهي من تأليف كتابك يا أبا النبهان؟

فقال: ذاك سر لا أبوح به، ولدي مشاريع بحث أخرى ستعرف النور والهواء قريبا في الأكشاك والمكتبات قبل المواقع.

قلت: وهل تعتقد أنك ستغطي مصاريف الطبع بهذه الوسيلة؟ أو ليست الجرائد والمجلات والكتب المعروضة يقرأ الناس صفحتها الأولى عن بعد، وضعاف البصر يرفعونها من أجل قراءة عناوينها فقط؟

فإذا استثنينا الكتب المدرسية والكتب المرجعية التي يفرضها بعض أساتذة الجامعة على الطلبة فرضا لأغلقت المكتبات أبوابها، وغيرت تجارتها من تغذية العقول إلى عرض شهوات البطن.

قال: تلك مشكلة أخرى، ولكننا -معشر الكتاب- لا نكتب لنعيش، وإنما نكتب -كل حسب تخصصه- لنبلغ رسالة نعتقد أنها لبنة في بناء مجتمع -حداثي- متطور باستمرار.

قلت: هدف نبيل وتضحية عالية، ولكن الواقع -كما يبدو- ليس كذلك، فحرب الأفكار أشد شراسة من الحرب في ميادين القتال، ألا ترى أن الجانب الإنساني في أي مجتمع يكاد يختفي بسبب التصنيف الذي يعيشه الناس اليوم في العرق والدين والسياسة والمواقف وغيرها.

قال: تلك قضية أخرى، أنا مسؤول عما أكتب، هدفي واضح، وأفكاري تتسم بالموضوعية والنجاعة.

قلت: تأكد أن ما تكتبه هو جزء من حقيقتك، وشهادة منك لك أو عليك، أو ليست الكتابة تعبيرا عن مشاعر ذاتية، تغلف -عادة- بالموضوعية لتحقيق رغبات شتى، منها المادي، ومنها المعنوي، وإن اختلفت التسميات والمصطلحات.

فأنتم معاشر الكتاب تختمون في الغالب مقدمة كتبكم بالتضرع إلى الله أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، والله يعلم وأنتم تعلمون أن هذا العمل يريد به صاحبه شهادة علمية أو اكتساب شهرة أو منفعة مادية لا غير، ولو اقتصر على طلب التوفيق من الله عز وجل لكان أصوب وأرشد.

قال صاحبي: لا أفهم تلميحاتك ومراميك، ما يهمني في هذه الحياة أني أكتب لأعبر عن ذاتي، وأعرض أفكاري على الناس بعد المراجعة والتمحيص.

قلت: يا أبا النبهان، هل تعلم أنك لم تكتب ولم تنشر -لحد الآن- إلا جزءا يسيرا من مؤلفك الضخم الذي تدون فيه جميع أقوالك وأفعالك، والكثير منها لم تعد تتذكره، بل قد تنكره، فأحسن القصد فيما تقول وتفعل، وادع إلى الخير ما استطعت، واحذر الشر في كل الأحوال، واعتبر بمن مضى وفات، واستعد لما هو آت؛ لتكون يا أبا النبهان جديرا بالروح والريحان.

واعلم يا أبا النبهان أنك لا تدري متى ستنتهي من كتابة هذا المؤلف الضخم، فقد توفق لكتابة الخاتمة السعيدة، وقد لا توفق. فاحرص على تشغيل شاهد يمينك، وأرح شاهد شمالك، وأعد للسؤال جوابا، يوم يقال لك: اقرأ كتابك!

قال صاحبي: ذكرتني ما غفلت عنه، ونبهتني إلى خلل شائع بين كثير من الكتاب، نسوا أنهم مسؤولون عما يكتبون وينشرون يوم يقوم الناس لرب العالمين، وبناء على هذا فكل المكلفين مؤلفون، متعلمون أو أميون، يكتبون قصة حياتهم بأيديهم، وهم يصنعون لأنفسهم بطولات في الخير والشر، والأخسرون منهم أولئك الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا.

فعلينا معاشر المؤلفين مراجعة أعمالنا، وتصحيح أخطائنا، ومحاسبة أنفسنا قبل الحساب، فما تدري نفس ما ذا تكسب غدا، وما تدري نفس بأي أرض تموت.

قلت: وفقك الله يا أبا النبهان لقد أصبحت داعية، فسبحان مقلب القلوب. اللهم ثبت قلوبنا على دينك!.

ذ . محمد المرنيسي

إعجاز التشريعات الإسلامية في بناء المجتمع المثالي (10\5)

حماية اللقطاء والمنبوذين

عندما نوسع نظرتنا إلى الإسلام فنتجول في أبوابه الفقهية والتشريعية، وتمتد أبصارنا إلى أوسع من أبواب الطهارة والعبادات -على عظم شأنها وجلال مقامها- فندخل إلى سائر أبواب الفقه تكتمل في أذهاننا الصورة الكلية للشريعة، وندرك فلسفتها في إقامة المجتمع المثالي الرباني، ومن هذه الأبواب المعروفة لدى الفقهاء باب "اللقيط".

حماية الضعفة في الشريعة الإسلامية:

جاءت نصوص الشريعة قاطعة في وجوب رعاية الضعفاء سواء كان ضعفهم من جهة فقدان العائل كاليتامى والأرامل، أو من جهة فقدان الصحة كالمرضى والمصابين، أو بسبب فقدان جهة النسب وجهالة المصدر كاللقطاء والمنبوذين، أو كان ذلك بسبب الظلم السياسي والتسلط العسكري، وهذه جملة من النصوص الشرعية:

- قال تعالى: ﴿إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا﴾ (النساء: 10).
- في الحديث: «خير بيت في المسلمين، بيت فيه يتيم يحسن إليه، وشر بيت في المسلمين، بيت فيه يتيم يساء إليه» (رواه ابن ماجه).
- وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله»، وأحسبه قال: "وكالقائم الذي لا يفتر، وكالصائم الذي لا يفطر"، (متفق عليه).
- وقال سبحانه: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾ (النساء: 75).

وغير ذلك من النصوص الكثيرة التي توجب رعاية الضعفاء أيا كان سبب ضعفهم، ومن هؤلاء الضعفاء فئة (اللقطاء) فقد جاءت نصوص الحديث في القرآن والسنة وكلام الفقهاء مبينة أحكام "اللقيط".

وفي هذا المقال والذي يليه بيان فلسفة الإسلام ومقصده من حماية ورعاية هذه الفئة.

واللقيط أعم من أن يكون "ابن زنا" فقد يكون اللقيط منبوذا من أبوين لا يريدان النفقة عليه لفقر وعجز، أو يكون قد جاء من فاحشة الزنا، فخشيت أمه العار فألقت به هنا أو هناك، لذا عرفه صاحب الفتاوى الهندية بأنه: "اسم لحي مولود طرحه أهله خوفا من العيلة أو فرارا من تهمة الزنا، مضيعه آثم ومحرزه غانم".

وفي العصر الحديث ومع الانفتاح الإعلامي الذي يحث على نشر الرذيلة ويشجع على العلاقات الآثمة غير المشروعة، كثر هذا النوع من الأطفال غير الشرعيين، وأضيف إلى ذلك سبب آخر وهو كثرة الحروب والصراعات، وربما عمليات اغتصاب يقوم بها الكفار عند قتال المسلمين كما وقع في حرب الصليبيين الصرب لمسلمي كوسوفا والبوسنة، والتي خلفت آلاف الأطفال نتيجة اغتصاب المسلمات، وأيا ما كان الأمر فإن اللقيط في الإسلام نفس محترمة جاءت الشريعة بجملة من الأحكام المتعلقة به حماية ورعاية وتربية وتهذيبا، حتى لا توجد فئة مهملة أو مهمشة داخل مجتمع مسلم يعرف للإنسانية قدرها واحترامها.

اللقيط عمار أو دمار:

إذا نبذ طفل دون البلوغ ثم كبر فوجد الناس من حوله يعيشون في أحضان أسرة اجتماعية تربيه وتحميه وترعاه، ثم لا يجد مثل تلك البيئة الحاضنة بالنسبة له فإن نفسه حينئذ لن تكون سوية، ولن تكون مشاعره تجاه المجتمع الذي نبذه مشاعر سلام أو احترام، وسيكون مصدر رفض وقلق وانتقام في هذا المجتمع، لإحساسه بالقسوة والرفض ممن حوله، أما لو كبر في وسط بيئة تشعره بالأخوة والحنان، وتبذل في سبيل تربيته ورعايته وتهذيبه ما يستحقه، فإنه سيشعر بمعاني التقدير والوفاء لمن حوله، لهذا حث الإسلام على رعاية هذه الطبقة لأمرين:

- حماية النفس البشرية وبخاصة تلك النفس الضعيفة اجتماعيا حيث لا والد ولا والدة، ولا أعمام ولا عمات، ولا خال ولا خالات ولا ذوو رحم.
- حماية المجتمع المسلم من وجود عناصر لا تعرف الانتماء، ولا تعرف قيمة المجتمع.

المجتمع الإسلامي يحمي اللقطاء:

عرف في تاريخ حضارتنا الإسلامية ما سمي بـ (وقف الدور): وهو الوقف الخاص بإيواء اليتامى واللقطاء ورعايتهم، ولرعاية المقعدين والعميان والشيوخ، ووقف الدور هو أشهر أوقاف الصحابة (انظر الأوقاف النبوية ووقفيات بعض الصحابة الكرام). (167). وكانت تلك الأوقاف حماية لهؤلاء من الضياع وقياما بفرض الكفاية عن الأمة.

وامتدادا لذلك عرف في واقع المسلمين اليوم ما يسمى دور الأيتام، وهي تلك الدور المخصصة لرعاية الأيتام واللقطاء، ويحمد لها دورها الرعوي الذي تقوم به حيث تحمي هؤلاء من عدة مخاطر محققة منها:

1 - المخاطر التي تهدد وجودهم إذا تركوا بلا رعاية، فهي تؤويهم وتحميهم من الحر والبرد والحوادث وغير ذلك مما يهدد حياتهم، ولو تركوا في الطرقات والشوارع لكانوا عرضة للهلاك والضياع.

2 - كما تحميهم من الجهل، وذلك بالتعليم والتثقيف، وهذا لا شك مؤثر في طريقة تفكيرهم ومنهج حياتهم، فليس من نال قسطا من العلم كقرينه الذي لم يحصل على شيء من ذلك.

3 - وتحميهم من المرض والفناء حيث الرعاية الصحية والعناية الطبية التي تحفظ عليهم صحتهم وتدفع عنهم الأوبئة والأمراض.

4 - كما أنها تحمي هؤلاء من خطرين عظيمين؛ الأول: الانحراف الأخلاقي فتحميهم بالتربية والتهذيب، والثاني: خطر التنصير والتكفير حيث إن جمعيات التنصير تولي هذا الصنف عناية كبيرة وتوجه إليهم أموالا طائلة وتقوم باستغلال ضعفهم بالتنصير.

5 - كذلك حمايتهم من عصابات الاتجار في البشر واستغلال ضعفهم بتشغيلهم فيما يعرف بعمالة الأطفال.

وقد رأينا هذه الطبقة لما أهملت ولم تجد لها راعيا كيف استُغلت من قبل الأنظمة المستبدة فكونت منها جيوشا لها مما عرف في عرف الناس بـ (البلطجية - أو الشبيحة - أو الزعران) بعد أن استغلت فقرهم المادي والنفسي والروحي والعقلي.

وللحديث بقية إن شاء الله.

د. أحمد زايد

من سنن فقه الحضارة

فقه أولويات البناء الحضاري

إن البناء الحضاري إنما هو بناء لمقومات الأمة، ورعاية لمبادئها، وإن الحضارة أشبه ما يكون ببناء، فكما أن البناء يحتاج إلى مواد أساسية وأخرى تكميلية فكذلك الحضارة ، وكما أن البناء يحتاج إلى مراحل في الإنجاز فكذلك الحضارة. لذلك صار واجبا تحديد الأولويات الثابتة التي تضمن مراعاتها سلامة البناء ثم تحديد الأولويات المتغيرة بحسب كل مرحلة.

وبناء على هذا فإن الحضارة نسق متكامل من العناصر العقدية الإيمانية، والفكرية النظرية، والعلمية العقلية، والعناصر العملية الأخلاقية والتدبيرية، والعناصر الفنية بجميع أصنافها ومراتبها، وجانب الصناعات والمهارات والحرف المهن، وجانب الأمن والدفاع لحماية الجسم من الأجسام الغريبة المهددة له بالفناء.

ورغم أن هذه المكونات تتسم بطابع التداخل والتشابك والتعالق والترابط البنيوي الذي يصعب فيه إيلاء عنصر ما أهمية أكثر من الآخر، إلا أنه من منظور الأسبقية الزمنية، ومن زاوية العلية والسببية نلحظ مجموعة ضوابط تسعف في تحديد العنصر الأسبق من غيره، والعنصر الذي هو علة في غيره، والعنصر الذي يمكن أن يكون بمثابة علة العلل، ومبدئها الذي عليه يتوقف وجود الباقي.

ومقياس سلامة السلوك الحضاري للأفراد والجماعات والأمم إنما يقاس بمدى الدقة في تحديد الأولويات بدقة وبمدى القدرة على التكيف مع المستجدات التي يمكن أن يكون لها أثر في زحزحة سلم الأولويات قدرا من الزحزحة تساعد في التكيف لا التوقف، وتمكن من خدمة الأولويات بوسائل جديدة وأساليب خادمة للأصل وليست مبطلة له.

العمل بفقه الأولويات من شأنه أن يبصر الأمة بأهدافها ورسالتها، وما يلزمها من المعدات والوسائل والأساليب، ويمكنها من تحديد مراتب أولوياتها وقوة الاحتياج إلى كل صنف ووقته في كل مجال وقطاع، ويحفظ تصرفاتها من العبث ويصونها من الفساد، ويرقيها في تحصيل المكتسبات والبناء المتواصل، والإضافة المستمرة كما وكيفا إلى رصيد المنجزات، وتحقق الأمة بذلك التوسع الشمولي والنمو الطبيعي

وعلى قدر سعة مكونات الحضارة ومجالاتها تتعدد الأولويات، وداخل كل مجال تتفاوت مراتب الأعمال والتدابير والأهداف والمقاصد.

ولا يعني أحيانا العمل بالأولويات إيلاء عنصر ما أهمية وترك العناصر الأخرى مؤجلة إلى حين الانتهاء من الأول، فكثير من الأولويات يمكن أن تنجز بالتوازي ولا يضر توازيها مراعاة مبدأ الأولويات، كما أن العمل بالجمع بين أولويات عديدة لا يعني تساويها في حجم الإنفاق والبذل فقد تعمل الأمة بالأولوية العلمية والاقتصادية والأمنية معا لكن بتفاوت في حجم الإنفاق والتدبير والأهداف بحسب ما تقتضيه المرحلة، على أنه يجب عدم إغفال أن بعض المجالات الحيوية في البناء الحضاري تستلزم دوما حضورها في أعلى سلم الأولويات، ولا تحتمل تأخيرها وتقديم غيرها عليها.

وإن العمل بفقه الأولويات لمن شأنه أن يبصر الأمة بأهدافها ورسالتها، وما يلزمها من المعدات والوسائل والأساليب، ويمكنها من تحديد مراتب أولوياتها وقوة الاحتياج إلى كل صنف ووقته في كل مجال وقطاع، ويحفظ تصرفاتها من العبث ويصونها من الفساد، ويرقيها في تحصيل المكتسبات والبناء المتواصل، والإضافة المستمرة كما وكيفا إلى رصيد المنجزات، وتحقق الأمة بذلك التوسع الشمولي والنمو الطبيعي، وتؤدي واجب الوقت الذي لا تبرأ ذمتها إلا بأدائه فردا عينيا وكفائيا.

وإن التربية على الالتزام بتدبير الحياة وفق الأولويات لن يكون مثمرا في الأمة إلى يوم يصير قناعة إيمانية للفرد المسلم وجزء لا يتجزأ من إيمانه يبني عليه أعماله، وسلوكا يوميا يصوغ به حياته وسيرته، ولن يكون مثمرا أيضا إلا يوم تجده حاضرا في التدابير اليومية العملية للأسر والمؤسسات والقطاعات وسائر الإدارات، ولن يؤتي أكله حق الإيتاء إلا يوم تبني الأمة ذاتها ومشاريعها الصغرى والمتوسطة والكبرى، النظرية منها والعملية وفق أهداف ومراتب ومراحل تتدرج في تنفيذها تدرجا طبيعيا تترابط فيه الأجزاء وتتعالق الوحدات وتتكامل الأعمال والمنجزات تكاملا بنائيا يحصل منه تطور الأمة وازدهارها في ما يحقق كل مصلحة ويدفع عنها كل مفسدة.

وها هنا يمكن القول إن مراعاة الأولويات في البناء الحضاري يمكن أن تتأسس على معالم كبرى وضوابط كلية بينها كثير من العلماء قديما وجددها المحدثون تجديدا مناسبا لحاجة الأمة، ومن ذلك تمثيلا لا حصرا:

- أولوية إصلاح خلل الإيمان على خلل العمل، والفكر على السلوك.
- أولوية التخلق بالدين على التوسع المعرفي والازدياد العلمي.
- أولوية الكليات على الجزئيات، والأصول على الفروع.
- وأولوية البناء على الهدم، والاشتغال بالعمل على الانشغال بالرد والجدل.
- وأولوية وحدة الأمة على حساب المصالح الذاتية والفئوية الضيقة، والاتفاق والائتلاف على الشقاق والاختلاف.
- أولوية العمل بالمشترك والمتفق فيه بدل الانشغال بدائرة المختلف فيه.
- أولوية العمل بأقوى المصلحتين وأعمهما نفعا، والعمل بدرء أكبر المفسدتين وأعمهما ضررا.
- أولوية التخطيط البعيد والشامل على التخطيط الآني والجزئي والمرتجل.
- أولوية الميسور على المعسور، والأخف على الأثقل، واستثمار الممكن بأقصى قدر ممكن.
- أولوية السلم على الحرب، والحوار على التعصب والإقصاء.

وعموما فإن من القواعد المثلى في البناء الحضاري قاعدة مراعاة الأولى في كل أمر من أمور الآخرة والأولى، والعمل بها لا يعود على الأمة إلا بالإرشاد إلى الأنفع وتحقيق الأصلح.

الطيب بن المختار الوزاني

قلعة السراغنة:
لقاء تواصلي عن تجربة التعليم الأصيل الجديد

تقرير عن لقاء قلعة السراغنة

نظمت المديرية الإقليمية لوزارة التربية الوطنية والتكوين المهني والتعليم العالي والبحث العلمي بقلعة السراغنة لقاء تواصليا عن تجربة التعليم الأصيل الجديد بتنسيق مع جمعية تنمية التعاون المدرسي تحت شعار: "جميعا من أجل الارتقاء بالتعليم الأصيل الجديد". وبمشاركة منسقي اللجن الجهوية للتعليم الأصيل الجديد بكل من طنجة تطوان وفاس – مكناس ودرعة – تافيلالت وسوس – ماسة وبني ملال– خنيفرة.

وقد ابتدئ الحفل بآيات بينات من الذكر الحكيم ثم النشيد الوطني، وبعده تفضل السيد المدير

الإقليمي لمديرية قلعة السراغنة بكلمة ترحيبية بالمشاركين، بعد ذلك تفضل ممثل المجلس العلمي واللجنة الإقليمية للتعليم الأصيل بإلقاء كلمة أكد فيها على انخراط المجلس العلمي المحلي بكل إيجابية في إنجاح هذا النوع من التعليم بكل مؤسسات الإقليم.

ثم قدم ذ. سعيد صنير، ممثل لجنة طنجة تطوان عرضا في موضوع: "مقترحات لإرساء معايير الجودة في منهاج التعليم الأصيل الجديد". بعده قدم د. امحمد الينبعي، المنسق الجهوي لجهة فاس مكناس عرضا في موضوع: "الواقع الجديد للتعليم الأصيل وآفاق تنميته وتطويره". أما العرض الثالث فقدمه ذ. محمد التيرش في موضوع: "منهاج التعليم الأصيل الجديد واقعه وآفاقه".

وقبل عرض تجربة مؤسسة الشهيد رحال بن أحمد، وتجربة جهات درعا تافيلالت، وطنجة تطوان، والرباط القنيطرة استمتع الحاضرون بتقديم لوحة تربوية فنية رائعة لتلامذة مؤسسة الشهيد رحال بن أحمد. وبعد المناقشة العامة الجادة والمفيدة لمضامين العروض الثلاثة. تناول الكلمة من جديد السيد المدير الإقليمي شكر من خلالها كل من كانت له يد بيضاء في التعليم الأصيل وجنود وجنديات الخفاء لإنجاح هذا اللقاء، وبعده تمت زيارة معرض الأندية التربوية لمدرسة الشهيد رحال بن أحمد، ودعي الجميع إلى حفل شاي.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

إعداد: ذ. الفاطمي الماحي.
منسق اللجنة الإقليمية المشتركة

فاس : ندوة دولية في موضوع: "ظاهرة الغلو في الدين والتطرف العنيف والإرهاب: قراءة في المفاهيم والمعالجة الأمنية والمقاربة المغربية"

احتضنت مدينة فاس خلال الفترة ما بين 26 و 28 أبريل المنصرم ندوة دولية في موضوعفي "ظاهرة الغلو في الدين والتطرف العنيف والإرهاب: قراءة في المفاهيم والمعالجة الأمنية والمقاربة المغربية" بمشاركة خبراء وباحثين جامعيين وأكاديميين من المغرب وخارجه، وذلك برحاب كلية الطب والصيدلة.

وناقشت هذه الندوة الدولية الذي نظمتها مؤسسة لسان الدين بن الخطيب للدراسات وحوار الحضارات فاس بشراكة وتنسيق مع جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس ممثلة في رئاستها وكلية الشريعة وكلية الطب والصيدلة، وقد تطرقت الندوة موضوعات عديدة لها صلة بالموضوع من قبيل أسباب نشوء ظاهرة الغلو في الدين والتطرف في المجتمعات، وكذا المقاربات التي يجب اعتمادها لمواجهة هذه الظاهرة .

كما سلط هذا الملتقى الدولي الضوء على أنجع التصورات الكفيلة بمواجهة ظاهرة التطرف والغلو وكذا الأدوار التي يمكن أن تضطلع بها مختلف هيئات ومكونات المجتمع المدني في هذا المجال.

وتناول المشاركون في أشغال هذه الندوة الدولية ظاهرة الغلو في الدين والتطرف العنيف والإرهاب من خلال سبعة محاور يبحث الأول منها موضوع "تحديد مفاهيم مصطلحات الغلو والتطرف والإرهاب والوسطية والاعتدال والألفاظ ذات الصلة" بينما عالج المحور الثاني موضوع "أسباب نشوء ظاهرة الغلو في الدين والتطرف العنيف في العالم الإسلامي ومسببات انتقالها وتناميها في الغرب" في حين ركز المحور الثالث على موضوع "دور الإعلام وتقنيات الاتصال الحديثة في تنامي ظاهرة الغلو والتطرف والإرهاب". أما المحور الرابع فسلط الضوء على "ظاهرة استغلال العنصر النسوي في الترويج للأفكار المتطرفة والتنظيمات الإرهابية" كما اهتم المحور الخامس بموضوع "دور المجتمعات المدنية والمؤسسات الدينية والأكاديمية في مكافحة الغلو والتطرف والإرهاب" في حين بحث المحور السادس موضوع "ظاهرة الحركات الانفصالية ودورها في تغذية الغلو والتطرف وأثرها على الإرهاب" بينما خصص المحور السابع لمناقشة "المقاربة المغربية المعتمدة في مكافحة التطرف العنيف والإرهاب وحظوة الاعتراف على المستوى الدولي". ويشار في الأخير إلى أن الندوة لم تعرف حضورا جماهيريا وازنا كما كان متوقعا، كما أنها لم تعرف حضورا إعلاميا كبيرا.

إعداد: نورالدين بالخير

معالم النهوض الحضاري بين الأصل والعصر* (1)

الدكتور عصام البشير

الاسم: الأستاذ الدكتور عصام الدين أحمد البشير.
دكتوراه: قسم السنَّة وعلوم الحديث- كلية أصول الدين- جامعة أم القرى- أم درمان الإسلامية.
الخبرات شغل عدة مناصب على رأسها:
- وزير الإرشاد والأوقاف السابق بجمهورية السودان
- أستاذاً في العديد من الجامعات.
- وعضوا في عدد من المؤسسات الوطنية السودانية والدولية الإسلامية والمجامع الفقهية؛ منها: مجمع الفقه الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة، والهيئة العليا لجائزة الأمير نايف للسنة والدراسات الإسلامية المعاصرة- المدينة المنورة، والمجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث- إيرلندا، وعضو المجلس العلمي للكلية الأوروبية للدراسات الإسلامية- فرنسا، ومجلس أمناء الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين- لبنان، زمجمع الفقه الإسلامي- السودان، وعضو هيئة علماء السودان، وغيرها كثير.
من أبحاثه ومؤلفاته: له كتابات غزيرة في مواضيع عصرية ذات طابع فكري وتربوي نحو الاعتدال والوسطية والعمق في التحليل والرؤية، منها:
- التعددية في الفكر الإسلامي المعاصر.
- التجديد، مفهومه وضوابطه وآفاقه في واقعنا المعاصر.
- الوسطية من خصوصيات الحضارة الإسلامية.
- ثقافة التجديد وآداب الحوار.

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا وقدوتنا ومعلمنا وحبيبنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تفكيك المفاهيم والمصطلحات:

نبدأ معكم في رحلة تفكيك المفاهيم والمصطلحات.

النهوض: مبدؤه عملية الصحو، والصحو هو انتباه بعد ركود، والصحو قد يكون من أمر طبيعي كالنوم، ومن أمر اصطناعي كالسكر، ومن أمر معنوي كالغفلة. يقال: صحا من نومه، صحا من سكره، صحا من غفلته. والأصل في عملية الصحو أنها مدركة بما نطلق عليه القلب أو الفؤاد:

- أتصحو أم فؤادك غير صاح
عشية هَمَّ صحبك بالرواح

- (صحا القلب عن سلمى وأقصر باطل)

ثم الانتقال من الصحوة إلى اليقظة التي تدل على الانتقال من الرقاد إلى الانتباه لما يتوجب على النفس أن تنهض به، فالنهوض ثمرة صحوة، فمن بعد ذلك يقظة، لتستجمع القوة وتتحرك في مسارين: المسار الأول هو مسار إرادة التغيير، والمسار الثاني مسار إدارة التغيير، وهذا ما عبر عنه الحديث النبوي الصحيح: «أحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن، وأصدقها حارث وهمام»؛ همام إشارة إلى الإرادة؛ لأن كل فعل يصدر عن الإنسان مبدؤه خاطرة، فتكون الخاطرة هَمّاً، فيكون الهم عزما، فيكون العزم إرادة، فتكون الإرادة فعلا.

"أصدقها حارث وهمام" إشارة إلى تواتر إرادة التغيير، وإن إرادة التغيير لا تفعل وحدها ما لم تكن لها ضميمة تتصل بها اتصالا وثيقا محكما يمكن التعبير عنه بإدارة التغيير؛ أي أن نحول إرادة التغيير إلى برامج ومشاريع وعمل وخطط تنفذ في الواقع، وهذا ما عبر عنه بحارث، فالحرث الذي هو الزرع المفضي إلى الإنتاج، والمفضي إلى حصول ثمرات يانعة وقطوف دانية.

الحضارة: في الأصل هي في مقابل البداوة.

ومن تكن الحضارة أعجبته
فأي رجال بادية ترانا

وبعبارة مختصرة يمكن أن نعرف الحضارة بأنها ثمرة تفاعل الإنسان مع الكون والحياة. فالإنسان سيد في الكون وليس سيد الكون. سيد الكون هو الله تعالى، والإنسان سيد في هذا الكون، مخلوق مكرم خلقه تعالى بيده ونفخ فيه من روحه، أسجد له الملائكة، وعلمه الأسماء التي هي مفاتيح العلوم واللغات، وسخر له ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه.

داؤك فيك ومـــا تبصر
ودواؤك منك وما تشعر
وتزعم أنك جرم صغير
وفيك انطوى العالم الأكبر

وفي الأثر وإن لم يصح سندا، ولكنه يصح معنى «ما وسعني أرضي ولا سمائي ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن».

وهذه الحضارة كلها جهد تراكمي من إنجاز إنساني واجتماعي وأممي على صعيد الأفكار وعلى صعيد القيم والإبداع المادي، أو ثمرة الإنسان والفكرة والوقت كما يقول الأستاذ مالك بن نبي.

لكن هذه الحضارة لا يمكن أن يطلق عليها هذا الوصف إلا إذا وجد نسق عقدي يحدد طبيعة الإنسان والعلاقة مع عالم الغيب والشهادة، ثم بناء فكري وسلوكي يحدد نمط القيم السائدة في المجتمع وهي الأخلاقيات العامة، ثم نمط مادي يشمل الأبعاد المادية في الحياة، ثم نمط العلاقة مع الكون ومسخراته، ثم العلاقة مع الآخر.

أما الأصل: فبالنسبة لنا معشر أهل الإسلام هوالوحي باعتباره مصدرا معرفيا حاكما يرعى الظاهر والباطن والفرد والأسرة والجماعة والأمة والحضارة، والمقصود بالتزام الأصل هو اتباع هذا الشرع الحنيف فيما أمر ونهى، وتحقيق مراد الله تعالى في الظاهر والباطن عبر منهج علمي موثق، استغرق تأصيله وضبطه أعمار جهود علماء أثبات مخلصين على مر القرون، ولا يزال يرفد العطاء المتجدد ﴿ثلة من الأولين وثلة من الآخرين﴾.

أما العصر: فهو زمان المخاطبين الذين يعيشون فيه، ومقتضاه أن نعمل على استحصال روح العصر، وتحصيل أسباب الرقي المادي والمعنوي، وأن نضرب فيه بسهم وافر في بناء الإنسانية بكل ما أتيح لها من مقدرات وموارد بشرية وجغرافية حيوية وحضارية وتاريخية ونحو ذلك.

والعصر نوعان: مقتضيات وأهواء. فمع مقتضيات العصر علينا أن نفتح عقولنا، ومع أهواء العصر علينا أن نفطم أنفسنا؛ لأن الهوى يحتاج إلى فطام النفس، أما المقتضى الذي لا بد له من وجود حيوي في حياة البشر وفي أنماط علاقاتهم فلا بد من أن تنفتح له العقول، وفرق بين التفاعل الحضاري وبين الغزو الحضاري؛ لأن الغزو اجتياح من القوي إلى منطقة الضغط المنخفض؛ أما التفاعل الحضاري فهو تقابل؛ أخذ وعطاء، تأخذ أفضل ما عند الآخرين وتمنح الآخرين أفضل ما تملك، فالمسلمون أخذوا من قبل فكرة تدوين الدواوين وتمصير الأمصار وصك العملة والمنجنيق وفكرة الخندق التي أخذوها من حضارة فارس والروم، وأخذ الغرب من علوم المسلمين وتراثهم في الأندلس وفي غيره مما يؤكد الحاجة إلى بناء المشترك الديني والمشترك الإنساني والمشترك الحضاري؛ لأن القواعد التي يتأسس عليها بناء هذه المشتركات:

أولا: الإيمان بوحدة الأصل الإنساني؛ «أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد».

ثانيا: الإيمان بأن الكرامة لمطلق بني آدم: ﴿ولقد كرمنا بني آدم﴾.

ثالثا: الإيمان بأن إعمال الأخوة الإنسانية أولى من إهمالها؛ وأشهد أن العباد كلهم إخوة، وكثير من الناس يخطئون ويحسبون أن الإخوة الإيمانية هي فقط معقد الرابط الذي يربط بين المسلمين دون غيرهم، بيد أن القرآن الكريم الذي نستنطق منه الهداية يتحدث عن أنماط من هذه الأخوة؛

فهناك أخوة الرحم والدم والعشيرة والنسب والقبيلة، وهنالك أخوة الوطن، وهنالك أخوة الإنسانية. ﴿وإلى عاد أخاهم هودا﴾ ﴿وإلى ثمود أخاهم صالحا﴾ ﴿واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف﴾

تتمة ص: 10

تتمة ص: 9

«كذبت قوم نوح المرسلين إذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون»، فإن هؤلاء جحدوا نبوة نوح عليه السلام وكذبوا رسالته، ومع ذلك أثبت عقد الأخوة بينه وبين قومه، فهذا دليل على أن الأخوة يمكن أن تنداح في سياقات متعددة؛ والأخوة الإيمانية هي أوثق هذه الروابط وأعلاها؛ ولكنها لا تنافي ما سواها من أنواع الروابط التي تنشأ بين بني البشر.

رابعا: اليقين بأن الله تعالى خلق البشر وهم يتفاوتون في ألسنتهم وألوانهموعقائدهم وأفكارهم؛ «ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم»، بيد أن هذا الاختلاف لا يقف عند حد اللون أو البشرة أو الجنس أو اللغة وإنما يتعداه إلى الأفكار والعقائد.

خامسا: وهو ثمرة هذا الاختلاف، وهو التعارف؛ ويشمل ثلاث معان، يشمل أن يعرف بعضنا بعضا، ويشمل أن نبذل المعروف إذا تعارفنا، ويشمل حصول المعارف والعلوم.

سادسا: التأكيد على أن التعامل الأصل فيه السلم، والحرب استثناء طارئ؛ فالله هو السلام، وتحيتنا السلام، والجنة دار السلام، والعداء يعتبر من الأمور الطارئة التي ينبغي أن نتعامل معها في سياقها الظرفي، ومشروعية القتال ليس لإكراه الناس على الدخول في الدين، وإنما حاصلها ومجموعها هو دفع العدوان؛ تحدث القرآن عن ثلاث أنماط: «وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا»، وهذا رد عدوان «وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة» والفتنة هي مصادرة حريات الناس واضطهادهم وقهرهم وهو عدوان، وأيضا نصرة للمستضعفين من النساء والولدان الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا،

وهذا رد عدوان، ومن هنا كانت الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة سبيلا لإبلاغ هذه الرسالة، ولم يجعلنا الله تعالى قضاة على الناس وإنما جعلنا في مقام الهداية بالأفعال والأحوال قبل الأقوال.

سابعا: البر والقسط؛ والبر كلمة ارتبطت بأعظم عبادة بعد التوحيد وهي بر الوالدين، جاءت في سياق العلاقة مع الآخر، وأنا أقول بأن الآخر الذي يعتبره كثير من الناس حالة من العداء المستحكم ليس حالة ثابتة، وإنما حالة متحركة، فإن المحارب قد يسالم، وإن المعادي قد يصالح، وإن الكافر قد يسلم، وحالة العداء التي تكون ثابتة لا تتبدل لا تنطبق إلا على عصف واحد وهو الشيطان «إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا»، وما عدا ذلك كله يقبل أن يكون متحركا.

إذن هذه الأسس السبعة هي التي تشكل بابا ننطلق منه في توسيع قاعدة المشترك الإنساني والديني والحضاري، والنبي ﷺ تمنى أن لو وجد مثل حلف الفضول الذي أدركه في الجاهلية، وكان نصرة للمستضعفين من أهل مكة ومن العابرين بها. قال: «لقد شهدت في دار عبد الله بن جذعان حلفا ما أُحبُّ أن لي به مثل حمر النعم، ولو دعيت به في الإسلام لأجبت» ولعل عالمنا اليوم الذي يشهد انتقالية العدالة وازدواجية المعايير أحوج مايكون إلى حلف فضول يضم أشراف العالم وأصحاب الضمير الحر ليلتقوا لإقرار العدل في وحدة معيار واستقامة ميزان.

أسس النهوض الحضاري:

هذه بعض إفاضات حول دلالة عنوان هذه المحاضرة، والمساحة التي يتحرك فيها بناء النهوض الحضاري بالنسبة لأمتنا هي هذه السباعية.

أولها: العقيدة الدافعة، وثانيها: الشرعة الرافعة، وثالثها: المقاصد الحافظة، ورابعها: القيم الحاكمة، وخامسها: الأمة الجامعة، وسادسها: السنن الفاعلة، وسابعها: الحضارة الشاهدة.

الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة سبيل لإبلاغ هذه الرسالة، ولم يجعلنا الله تعالى قضاة على الناس وإنما جعلنا في مقام الهداية بالأفعال والأحوال قبل الأقوال.

أولها العقيدة الدافعة:

العقيدة الموافقة للفطرة التي تقدم تصورا معقولا للإله الخالق وللكون وللإنسان وللحياة ولعالم الغيب وعالم الشهادة على السواء.

ثانيها المقاصد الحافظة:

التي دل الاستقراء على أن الشريعة جاءت لرعايتها من حفظ الضروريات الخمس أو الست على قول بعضهم، وكذلك القيم الحاكمة "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق".

وثالثها الأمة الجامعة:

إن لفظ الأمة في القرآن الكريم جاء على أربعة معان. الأمة في لغة العرب هي الجماعة يجمعها حال أو وصف،وجاءت على أربع معان: المعنى الأول: أن الجماعة بمعنى الحين والزمن «وادكر بعد أمة» «ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى أمة» أي إلى زمان بعينه، وجاءت الأمة بمعنى الجنس من الأجناس «وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم»؛ أي جنس من الأجناس مثلكم، والمعنى الثالث أن الأمة بمعنى الإمام الذي يقتدى به «إن إبراهيم كان أمة»، والمعنى الرابع: أن الأمة بمعنى الجماعة التي تجتمع على حال ودين، بصرف النظر عن كون هذا الدين يعتبر حقا «إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون» أو كان على غير ذلك، ولذلك جاء وصف الأمة الجامعة الذي نستشهد به ها هنا «إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون» «وأن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون». هاتان الآيتان جاءتا في سياق الحديث عن موكب الأنبياء والرسل، فالأنبياء والرسل،،،وأنس الفضائل ومكارم الأخلاق وإن اختلفت شرائعهم ومناهجهم «لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا». أما أصل الدين «ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت» «وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا يوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون»، وقد بين الحديث الشريف أن "الأنبياء إخوة لعلات دينهم واحد وأمهاتهم شتى"، والعلة هي الضرة، إشارة إلى أن الأصل الواحد كالأنبياء الذين ينحدرون من أب واحد، وأن الأمهات شتى هي بمثابة الشرائع والمناهج العلمية التي اختلفت بين نبي ونبي، وحال هذه الأمة المحمدية هي بجنس ما وقع للأنبياء والرسل، فهي تجتمع على الثوابت والأصول والكليات والقطعيات والمحكمات، هذا بمثابة الائتلاف والمشترك، وهي تتفاوت وتتنوع في المتشابهات وفي الظنيات وفي مواطن الاجتهاد وفي مناطق العفو التي سكت الشارع عنها، وفي مناطات المصالح المرسلة وسد الذرائع وإدراك المآلات ونحو ذلك. كل هذا مما يقع فيه الاختلاف، وهذا الاختلاف متى روعيت آدابه كان من الرحمة والسعة والتيسير المفضي إلى بحبوحة هذه الأمة.

وخامسها السنن الفاعلة: إن الأمة اليوم أهملت السنن الفاعلة السنن التي تتعلق بنهضة الحضارات وموتها، هنالك سنة النصر، وسنة الأجل المسمى، وسنة التدرج، والسنة المرحلية، وسنة رعاية الأسبقيات والأولويات... هذه السنن أغفلها كثير من المسلمين، وهي سنن تتسم بالشمول والاطراد وتتسم بالديمومة. أغفلها كثير من المسلمين وأصبحوا يستعجلون قطف الثمرة قبل نضجها، ويستعجلون القفز فوق المراحل،يريدون بين يوم وليلة أن يحققوا كل الغايات ويستهدفوا كل الآمال على نحو ما قال أحدهم في طرفة أنه أراد أن يشتري حمارا -أعزكم الله- فذهب إلى السوق وقال: إني أريد حمارا لا هو بالطويل المشتهر ولا بالقصير المحتقر، إن أكثرت علفه شكر وإن أقللته صبر، إن خلا له الطريق تدفق، وإن كثر عليه الزحام ترفق، إن ركبته أنا هام، وإن ركبه غيري نام. قال يا هذا اصبر حتى يمسخ الله القاضي حمارا فتصيب حاجتك إن شاء الله تعالى. فهؤلاء ليسوا ببالغي أمرا شأن قطف الثمرة قبل نضجها حتى يمسخ الله القاضي حمارا.

ومن هنا كان لا بد من إدراك هذه السنن «وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا». فالمعرفة بهذه السنن، إدراك هذه السنن، إعمال هذه السنن، فقه هذه السنن، وحسن التعاطي مع هذه السنن هو أمر بالغ الأهمية في مسألة النهوض الحضاري.

هذه الأمة المحمدية هي بجنس ما وقع للأنبياء والرسل، فهي تجتمع على الثوابت والأصول والكليات والقطعيات والمحكمات، هذا بمثابة الائتلاف والمشترك، وهي تتفاوت وتتنوع في المتشابهات وفي الظنيات وفي مواطن الاجتهاد وفي مناطق العفو التي سكت الشارع عنها، وفي مناطات المصالح المرسلة وسد الذرائع وإدراك المآلات ونحو ذلك. كل هذا مما يقع فيه الاختلاف، وهذا الاختلاف متى روعيت آدابه كان من الرحمة والسعة والتيسير المفضي إلى بحبوحة هذه الأمة.

ثم سادسها الحضارة الشاهدة:

والشهود يعني الحضور، والأمة المسلمة اليوم موجودة ولكنها ليست حاضرة، وفرق بين أن تكون موجودا وبين أن تكون حاضرا، ليست حاضرة؛ لأن الحضور حضوران: حضور في الزمان، وحضور في المكان. وحضور الزمان هو الفعل الثقافي المؤثر، وحضور المكان هو الفعل العمراني الرشيد. وبهذين المعيارين فالأمة ليست حاضرة، الأمة ليست فاعلة، وليست مبادرة، وليست مبادئة، الأمة مفعول بها، الأمة متخلفة، الأمة متخلفة عن الركب، تعيش في منطقة الضغط المنخفض تعيش في منطقة قاع حضاري، ولذلك لابد لها من إعمال هذه السنن لكي تستأنف مسيرتها الحضارية مرة أخرى، وهي مؤهلة من حيث أنها تملك مصادر الوحي المحفوظة، وتملك كذلك الإمكانات البشرية الهائلة، وتملك الموارد الحيوية، وتملك الثروات في باطن الأرض وظاهرها، تملك الموقع الجغرافي المتميز في سرة الدائرة ومركزها، وتملك كذلك قوة التاريخ وقوة الجغرافيا وقوة الحضارة، وتملك هذا الرصيد الزاخر، ولكن نود أن ننتقل الأمة من دائرة الإمكان الحضاري إلى دائرة الفعل الحضاري من خلال إعمال هذه السنن.

يتبع

---

* الأصل في هذا الموضع محاضرة افتتاحية في المؤتمر العالمي الرابع للباحثين في القرآن الكريم وعلومه في موضوع: "المصطلح القرآني وعلاقته بمختلف العلوم" المنعقد بفاس أيام 15-16-17 رجب 1438هـ الموافق ل 13-14-15 أبريل 2017م ونظرا لقيمتها العلمية والتربوية أعدتها جريدة المحجة للنشر.

مقولة "الشعر نكد بابه الشر، فإذا دخل في باب الخير لان..." في ميزان النقد

تناول الكاتب الفاضل في الحلقة السابقة رواية المقولة كما وردت عند ابن قتيبة والمرزباني، وبين وجه التعارض بينهما، كما حاول بيان أيهما أوثق وأصح، وفي هذه الحلقة يواصل المقارنة بينهما سندا ومتنا، مع بيان مقاصد الرجلين.

ثانيا: من حيث سند رواية المرزباني:

1 – وعلى خلاف ابن قتيبة تكاد تجمع كتب التراجم والطبقات على الضبط العلمي للمرزباني في نقل مروياته، فقد شهد له ابن النديم (ت385هـ) بـ"كثرة السماع" و"اتساع المعرفة بالروايات"، وفي هذا يقول: "المرزباني... آخر من رأينا من الإخباريين المصنفين، راوية صادق اللهجة واسع المعرفة بالروايات كثير السماع"(1).

2 – وعدَّله القفطي (ت624هـ) بـ"كثرة الرواية" وتنوع مصادر الأخذ والتقدم عند أهل العلم: "محمد بن عمران.. فاضل كامل ذكي راوية مكثر.. كثير المشايخ.. مقدم عند أهل العلم" (2)؛ وبما أن مصادر أخذ المرزباني متعددة فلا يبعد أن يكون قد وصلته أوجه من روايات نص الأصمعي فاختار أوثقها، وأسقط أضعفها.

3 – ونعته ابن عماد الحنبلي (1089هـ) بـ "الإخباري" و"الراوية" و"الثقة في الرواية والحديث" حيث قال: "أبو عبد الله المرزباني.. الكاتب الأخباري العلامة المعتزلي.. وكان راوية للآداب صاحب أخبار وتآليفه كثيرة وكان ثقة في الحديث.. صاحب التصانيف المشهورة.. راوية في الأدب ثقة في الرواية" (3).

4 – ورغم ما لاحظه عليه الخطيب البغدادي (ت463هـ) من ميل نحو الاعتزال والتشيع فإنه قد عده "صاحب أخبار ورواية للآداب، وكان حسن الترتيب لما يجمعه "، وانتبه إلى أن مروياته التي يرويها من غير السماع يستعمل فيها صيغة "أخبرنا": "ويقول في الإجازة أخبرنا" (4)، وبما أن صيغة "حدثنا" هي المستعملة هنا في نص رواية المرزباني فذلك مرجح أن يكون الناقل قد نقل بالسماع عمن روى عنهم في سند الرواية.

5 – فأما الذهبي (تـ 748هـ) فقد شهد له بكثرة الرواية فقال: "كان راوية جماعة مكثرا" (5)، وعده "ثقة"، ونحا نحوه في التعديل الذهبي: "كان ثقة. وقال الخطيب: ليس بكذاب" (6)؛

6 – ومن المحققين المعاصرين من لاحظ ما تحلى به المرزباني من الأمانة العلمية في توثيق النصوص والحرص على سلامة نسبتها إلى أهلها، على نحو ما اهتدى إليه الدكتور منير سلطان حين قال: "لم يقف المرزباني أمام النصوص مستسلما يرصها رصا، فالأمانة العلمية تفرض عليه أن يحترم عقل القارئ بأن يقدم له علما منسوبا إلى أصحابه مهما كثروا، واضحة فيه أوجه الخلاف إن وجدت، بل ينبه قارئه إلى ما في بعض الأخبار من غلط حتى يكون على بينة" (7).

7 – فأما ما انفرد به الأزهري من اتهام المرزباني بـ "الكذَّاب" فهو من قبيل نقد التحامل المردود الذي لم يقبله العلماء، ومنهم الإمام الخطيب البغدادي حين قال: "وحدثني الأزهري أيضا قال: كان أبو عبيد الله بن الكاتب يذكر أبا عبيد الله المرزباني ذكرا قبيحا ويقول: أشرفت منه على أمر عرفت به أنه كذاب. قلت: ليس حال أبي عبيد الله عندنا الكذب. وأكثر ما عيب به المذهب.. وكان فيه اعتزال وتشيع.. وكان ثقة في الحديث" (8).

ثالثا: من حيث متن الروايتين

يتبدى الفارق فيما يلي:

1 – من الناحية المصطلحية تبدو مصطلحات رواية ابن قتيبة، وهي "السقوط" و"الضعف" و"القطع" مصطلحات ضخمة –فضلا عن صرامتها القدحية– بحيث تنصرف إلى تجريح المناحي الفنية والجمالية في الشعر، وتتجاوز الطاقة النقدية للأصمعي صاحب النص من حيث هو عالم لغوي، وفي أقصى تقدير الناقد اللغوي الاحتجاجي بالدرجة الأولى، وتعامله مع الشعر تعامل لغوي من حيث هو الشاهد والحجة على اللغة؛ في حين يبدو مصطلح "اللين" –وهو مصطلح رواية المرزباني– الأنسب للتوجه العلمي للأصمعي؛ لأن الذي يستهويه في الشعر جزالة لفظه وقوة غريبه أكثر ما تهمه جودته الفنية والجمالية، وفي المقابل ليس من شأن عالم اللغة أن يستهجن الشعر بناءه الفني تضعيفا بالقدر الذي يستهجن معجمه تليينا لألفاظه؛

2 – الدليل على ما سبق من كون الأصمعي عالم لغة في المقام الأول رسائله في اللغة، والألقاب التي أضفتها عليه كتب التراجم والطبقات، حيث عُدَّ فيها "بحرا في اللغة" (9)، و"صاحب لغة ونحو، وإماما في الأخبار والنوادر والملح والغرائب" (10)، و"أحفظ الناس"، و"أعلم الناس بالشعر" (11)، "وأتقنهم للغة، وأحضرهم حفظا" (12)؛ والمصطلح الأنسب لهذه الألقاب هو لفظ "اللين".

3 – مصطلح "اللين" من مصطلحات علم التجريح التي تدوولت زمن الأصمعي في علم التجريح، وليس من المستبعد أن يكون من الألفاظ التي استوردها علم اللغة وبعد ذلك النقد الأدبي من علم الحديث، وذاك شأن منظومة من المصطلحات اللغوية والنقدية؛ والمعروف لدى المحدثين أن لفظ "اللين" هو من أخف ألفاظ التجريح وألطفها، والتجريح به لا يترتب عنه اطراحه وتركه كما في "الضعيف" و"الساقط": "وإذا أجابوا في الرجل بلين الحديث فهو ممن يكتب حديثه وينظر فيه اعتبارا، وإذا قالوا: ليس بقوي، فهو بمنزلة الأول في كتب حديثه إلا أنه دونه، وإذا قالوا: ضعيف الحديث، فهو دون الثاني لا يطرح حديثه بل يعتبر به، وإذا قالوا: متروك الحديث، أو ذاهب الحديث، أو كذاب، فهو ساقط الحديث لا يكتب حديثه، وهي المنزلة الرابعة" (13).

> **يبدو أن وصف الشعر بـ "النكد" وحصر الدخول إليه في "باب الشر" أمر مبالغ فيه لا يستقيم مع واقع الشعر العربي زمن البعثة النبوية، ولا ينسجم مع النظرة النقدية الموضوعية التي ينظر بها إليه يومئذ، ولا يبعد أن يكون هذا الضرب من الألفاظ الصارمة إشارة إلى الرؤية المعيارية التي تقيم نوعا من العداء بين الفن والدين، وبين الشعر والأخلاق.**

4 – قياسا على التجريح بلفظ "اللين" في علم التجريح وهو الأصل، فإن ما يقصده الأصمعي حين "لَيَّن" مراثي حسان في رواية المرزباني هو ألا يصل التجريح حد استبعاد هذا الفن الشعري من دائرة الاحتجاج نهائيا، وإنما ذاك من باب الاحتياط والاحتراز، حيث تعطى الأولوية لما عده من فنون القول الأخرى المذكورة في تتمة النص، وعلى خلاف ذلك يبدو التجريح بـ "الضعف" و"السقوط" و"القطع" برواية ابن قتيبة تجريحا يتجاوز حد الاحتراز ليصل حد الاستبعاد، ونحسب أن ذلك يخرج عن مقصد النص وسياقه المقالي والمقامي.

5 – يبدو وصف الشعر بـ "النكد" وحصر الدخول إليه في "باب الشر" أمرا مبالغا فيه لا يستقيم مع واقع الشعر العربي زمن البعثة النبوية، ولا ينسجم مع النظرة النقدية الموضوعية التي ينظر بها إليه يومئذ، ولا يبعد أن يكون هذا الضرب من الألفاظ الصارمة إشارة إلى الرؤية المعيارية التي تقيم نوعا من العداء بين الفن والدين، وبين الشعر والأخلاق، ومن ذلك حمل المبالغة في التصوير الشعري على الكذب الأخلاقي، ويعد ابن قتيبة في نقده أحد أقطاب هذه الرؤية المعيارية، ولا أدل على ذلك من وصفه النابغة بأنه "أحد الشعراء الكذبة، وأحد البغاة" (14)، لا لشيء إلا لمبالغته في وصف المعركة حين تخيل أن أصواتها تسمع من مكان بعيد:

فلولا الريح أُسمِع أهل حجر
صليل البيض تُقرع بالذكور

مع أن الشاعر ليس من قصده أن يكذب ولا أن يزيف الواقع، وإنما اللحظة التعبيرية وهي لحظة وعيد وتهديد هي التي أملت عليه هذا اللون من المبالغة في التصوير؛ ولهذا السبب لم يكن هذا النقد المعياري المتحجر ليروق ناقدا متحررا كقدامة بن جعفر وقد رد على ابن قتيبة وأضرابه بمثل هذه الصرامة مدافعا عن مذهب المبالغة وبلوغ الغاية في النعت: "ومن أنكر على مهلهل والنمر وأبي نواس قولهم المقدم ذكره، فهو مخطئ؛ لأنهم وغيرهم –ممن ذهب إلى الغلو– إنما أرادوا به المبالغة، وكل فريق إذا أتى من المبالغة والغلو بما يخرج عن الموجود ويدخل في باب المعدوم، فإنما يريد به المثل وبلوغ الغاية في النعت، وهذا أحسن من المذهب الآخر" (15)؛

6 – ليس بمستبعد أن يقع تزيُّد على الأصمعي في رواية نصه –وهذا واقع العديد من النصوص التراثية– حتى توافق هوى في نفوس من لهم مواقف معيارية من الشعر، ومن توهموا الخصومة بين الشعر والدين، ومن خيل إليهم أن الشعر العربي ضمر من حيث الكم مع مجيء الإسلام، وضعف من حيث الجودة الفنية، وأن الشعراء أسكتهم القرآن ببيانه وفصاحته وسد أمامهم أفق الإبداع الشعري حين حظر الكذب والهجاء والغزل وما إليه؛ ولا يبعد أن يكون ابن قتيبة –وهو الناقد المعياري على نحو ما سبق– قد تلقف هذه الرواية الضعيفة ما دامت تستجيب لهوى في النفس؛

7 – تبدو رواية ابن قتيبة مجافية لواقع شعر حسان غداة صدر الإسلام، فحصر تفوقه الشعري في الجاهلية، ونفي الفحولة عنه في كل شعره الإسلامي لا يصمد مع الواقع التاريخي، إذ من الثابت أن لحسان –كما تشهد على ذلك مصادر شعره المتنوعة ومنها مصادر السيرة النبوية– قصائد كثيرة جميلة قالها في مختلف الفنون الشعرية مديحا وهجاء وفخارا ونسيبا ورثاء واستعطافا وسجالا، وهي لا تقل من حيث الجودة الفنية عن قصائده الجاهلية، ولولا ما فيها من السمو الجمالي والجودة الفنية ما حقق شعر حسان الذي نافح به عن الإسلام مقاصده في بذ الخصوم وهم أهل شعر وفصاحة وبيان.

8 – وفي المقابل تبدو رواية المرزباني أنسب لواقع شعر حسان، إذ من الثابت أن فن الرثاء –وهو موضع التليين– جديد عليه، وهذا ما تشير إليه "فلما" الفجائية في قوله: "فلما دخل شعره باب الخير من مراثي النبي وحمزة وجعفر..."؛ ومن الثابت تاريخيا أن حسان لم تكن له أي مرثية قبل الإسلام، فكان رثاؤه كله في الإسلام وبباعث الإسلام، وهذا الذي تشير إليه عبارة: "لحال النبي ﷺ"؛ ومن الثابت كذلك أن حسان لم يرث أحدا من أقربائه في النسب، وإنما رثى من رثى بوازع الآصرة الدينية، وفي المقدمة رثاء الرسول عليه السلام ثم شهداء الغزوات ممن ذكروا في النص، ويلاحظ هنا أن ترتيب المرثيين مطابق لترتيب المراثي من حيث عدد القصائد والأبيات، وهذا يدل على أن هذه المراثي كانت بين يدي الأصمعي حين أصدر هذا الحكم (16).

9 – ذكرت كتب التراجم مؤلفا نفيسا للمرزباني في المراثي، وقد ضاع من جملة ما ضاع من نفائس التراث الشعري، وهو مؤلف ضخم على ما ذكر ابن النديم: "وله كتاب المراثي نحو خمسمائة ورقة" (17)، والذي يظهر أن المرزباني كانت بين يديه مراثي حسان وقد ضمَّنها كتابه النفيس، وما من شك أنه حين وصله نص الأصمعي كان يعرضه على ما لديه من تلك المراثي، فاختار الرواية الأوثق التي تنسجم مع مقتضى شاعرية حسان كما هي بين يديه.

يتبع

---

1 – الفهرست لابن النديم: 1/ 190 – 191.
2 – إنباه الرواة على أنباء النحاة: 3/180.
3 – شذرات الذهب: 2/ 111 – 112.
4 – تاريخ بغداد: 2/ 135 136–.
5 – سير أعلام النبلاء: 16/ 448.
6 – ميزان الاعتدال: 3/ 672.
7 – دراسة في مصادر الأدب: 97.
8 – تاريخ بغداد: 2/ 136.
9 – إنباه الرواة: 2/ 201.
10 – وفيات الأعيان: 3/ 170.
11 – مراتب النحويين: 80.
12 – نفسه: 82.
13 – رسالة في الجرح والتعديل: 1/ 29.
14 – الشعر والشعراء: 216.
15 – نقد الشعر: 62.
16 – بناء على دراسة أنجزناها على مراثي حسان في مستوى شهادة الدراسات الجامعية العليا، وبلغت فيها مراثي حسان ستا وثلاثين مرثية.
17 – الفهرست: 1/ 191.

د. صالح أزوكاي

اللغة العربية لغة القرآن الكريم: مباني ومعاني

2 - أصالة الحرف في بناء دلالة الكلمة (1)

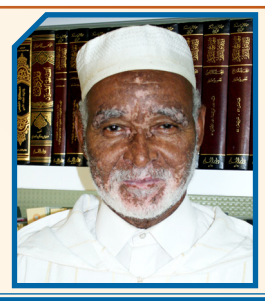

د . الحسين كنوان

لامسنا في عدد من حلقات المحور الأول لهذا الموضوع نماذج من أشكال كتابة بعض الكلمات التي لها تأثير في بناء دلالة الكلمة؛ أو تصنيفها في مستوى من الدلالة دون سواه، انطلاقا من شكل كتابتها الذي قد يحتمل أحيانا أكثر من شكل واحد مما له علاقة بإرادة المتكلم الذي ينبغي أن يكون على بينة من دلالة كل شكل حتى يكتب الكلمة بالشكل الذي يناسب قصده. وفي هذا السياق تمت الإشارة إلى علاقة شكل الكتابة بين العموم والخصوص أي بين شكل الكتابة في اللغة العربية بصفة عامة وما يتعلق بالرسم القرآني بصفة خاصة وقد اتضح أن التعبير بلفظ خاص الذي تجسم بكتابة خاصة لا يمكن التسليم باتفاق الاسم فيهما. بمعنى أن شكل كتابة كل لغة يمثل خصوصيتها.

وبعد هذا أنتقل بإذن الله وتوفيقه إلى مناقشة المحور أعلاه (2): أصالة الحرف في بناء دلالة الكلمة!!

والحرف أس البيان في نظام اللغة العربية لأن كل كلمة تتألف من حروف، وكل حرف له صفاته ومميزاته التي ينفرد بها أو تربطه بنسبة ما مع حرف آخر أو أكثر لا مع كل الحروف. وفي هذا السياق سنثبت عددا من النصوص التي تدل على أن الحرف أس البيان في اللغة العربية من ذلك ما يلي:

1 – صدر الخليل معجم العين بالحديث عن حروف المباني في اللغة العربية فذكر عددها مقسمة إلى نوعين أولهما –وهو الغالب من حيث عدده– حروف صحيحة، وثانيهما –وهو أقل عددا– عبارة عن حروف جوف. وفي هذا يقول: "في العربية تسعة وعشرون حرفا منها خمسة وعشرون حرفا صحاحا لها أحيانا [أحياز] ومدارج، وأربعة أحرف جوف وهي: الواو والياء والألف اللينة والهمزة، وسميت جوفا لأنها تخرج من الجوف فلا تقع في مدرجة من مدارج اللسان ولا من مدارج الحلق ولا من مدرج اللهاة. إنما هاوية في الهواء، فلم يكن لها حيز تنسب إليه إلا الجوف..." 57/1.

وبعدما فصل الخليل القول في مخارج الحروف وأحيازها وخصائص بعضها وحدد الأبنية في اللغة العربية الأصول وأشكالها، ختم قبل بداية تصنيف مادة المعجم بقوله: "بدأنا في مؤلفنا هذا العين [أي بحرف العين] وهو أقصى الحروف، ونضم إليه ما بعده [أي في الترتيب التصاعدي للحروف حسب جهاز النطق عند الإنسان] حتى نستوعب كلام العرب الواضح والغريب وبدأنا الأبنية بالمضاعف لأنه أخف على اللسان وأقرب مأخذا للمتفهِّم" 60/1.

يلاحظ من خلال النصين أعلاه أن الخليل يشير إلى مدارج الحروف في جهاز النطق عند الإنسان لقوله مدارج ولكلمة مدارج جمع تكسير مفردها مدرجة. في اللسان: "والمدارج الثنايا الغلاظ بين الجبال واحدتها مدرجة وهي المواضع التي يدرج فيها أي يمشي..." 266/2. وهذا يعني أن عددا من الحروف يخرج مرتبا حسب أسبقية خروجه من مخرج واحد كالجوف والحلق واللهاة واللسان.. إلخ. وكل مخرج يسمى حيزا وهذا يعني التنبيه إلى صفات الحروف التي يكتسبها من كيفية النطق به من حيز من أحياز مخرجه، ولاشك أن كيفية النطق بمجموعة من الحروف في بنية الكلمة تجسم إحساس المتكلم بما يريد أن يعبر عنه بصفة عامة أو أن يبلغه لمخاطب معين. والذي يلفت الانتباه في عبارات الخليل أعلاه قوله: "حتى نستوعب كلام العرب الواضح والغريب" ومن الحروف التاسعة والعشرين المذكورة تتألف أول أبنية الكلام في اللغة العربية وفي هذا يقول الخليل أيضا: "فهذه تسعة وعشرون حرفا منها أبنية كلام العرب" ع 58/1.

- التطور الكمي لأحرف المباني في اللغة العربية:

نلاحظ أن عدد أحرف المباني التي ذكرها الخليل يقل عن رقم الثلاثين بحرف واحد. وقد تطور عدد أحرف المباني عند سيبويه إلى اثنين وأربعين حرفا، وهي متفرعة في كيفية النطق بها عن التسعة والعشرين وفي هذا يقول سيبويه: "فأصل حروف العربية تسعة وعشرون حرفا...

وتكون خمسة وثلاثون حرفا بحروف هن فروع، وأصلها من التسعة والعشرين، وهي كثيرة يؤخذ بها وتستحسن في قراءة القرآن والأشعار..." ك 431/4.

ونظرا لكون هذه الأحرف الفروع غير مجسمة برموز تشير إلى النطق بكل منها مثل بقية أحرف المباني الأصول فإننا سنقتصر على عرض واصف كل منها كما هو عند سيبويه مع التمثيل لبعضها بالأمثلة التي أوردها لها. من ذلك قوله وهي: النون الخفيفة والهمزة بين بين كالهمزة الثانية في قوله تعالى: ﴿فَلْ أُنَبِّئُكُم﴾ (آل عمران: 15). ﴿أَأُلْقِيَ﴾ (القمر: 25)... والألف التي تمال إمالة شديدة: فإذا قلت: (دراهم) أملت الألف لأجل كسرة الراء.. والشين التي كالجيم والصاد التي تكون كالزاي وألف التفخيم كالصلاة والزكاة.

وتكون اثنين وأربعين حرفا بحروف غير مستحسنة ولا كثيرة في لغة من ترضى عربيته، ولا تستحسن في القرآن وهي: – الكاف التي بين الجيم والكاف– والجيم التي كالشين –والضاد الضعيفة –والصاد التي كالسين –والطاء التي كالتاء – والطاء التي كالثاء – والباء التي كالفاء.

وقد ختم سيبويه الكلام عن هذه الحروف مجملة بقوله: فهذه الحروف التي تممتها اثنين وأربعين حرفا جيدها ورديئها أصلها التسعة والعشرون لا تتبين إلا بالمشافهة" ك 431/4–432 (بتصرف).

والملاحظ بخصوص أحرف المباني في اللغة العربية أنها مؤلفة من ثلاثة مستويات هي: أصل معتمد وهو أكثرها عددا وتحصل به الكفاية، وفرع معتبر وهو ستة أحرف فقط، وفرع ثانوي محدود الوظيفة في مستويات جودة الكلام العربي وهو سبعة أحرف.

والملاحظ أن القيود التي تربط الفروع بالأصول متباينة بين أمثلة المجموعتين الفرعيتين، فتعليل علاقة الفروع بالأصول في أمثلة المجموعة الأولى الستة لا تفصل الفرع عن الأصل وإنما تحدد سمته في نفس المجال.

ولذا نلاحظ أن أحرف هذه المجموعة في تسميتها محتفظة بسمتها الأصلية التي يضاف لها ما يحدد سمتها الجديدة فالنون نون لكنها خفيفة، والهمزة همزة لكنها بين بين، والألف ألف لكنها تمال فقط أو تفخم، ولا يعتبر أداة ربط ثانية ضمن الأصول والفروع في أحرف هذه المجموعة إلا الشين والجيم.

أما أمثلة المجموعة السبعة الأخيرة فأداة الربط الغالبة بين الأصول والفروع هي التشبيه فقط فهي لا تمت إلى الأصالة بأي شكل من الأشكال. وإنما تشبه الأصول فقط، ولعل هذا الضعف في ربط هذه الفروع بأصولها التي تشبهها هو الذي رتبها في الدرجة الضعيفة في الاستعمال في نظام أحرف المباني في اللغة العربية ولذا لا تستحسن في قراءة القرآن ولا في الشعر.

وعلى الرغم مما قيل عن هذه الأحرف السبعة الأخيرة فإنها تعتبر قيمة إضافية لأحرف المباني في اللغة العربية لأنها توسع مجال القدرة على النطق في اللسان العربي ليستوعب أحرف اللغات الأجنبية واللهجات ولذا ينبغي السعي إلى إثبات أشكال لها تضاف إلى التسعة والعشرين مع التمثيل لكل حرف منها بالقدر الكافي من الكلمات التي تجسمه، ولا ينبغي الاقتصار على المشافهة بها كما ورد على لسان سيبويه ك 431/4–432 بتصرف.

من أوراق شاهدة

غربة القرآن.. غربة المسلمين 1/2

ذة. فوزية حجبي
al.abira@hotmail.com

حطت بي مطالعاتي في الأيام الأخيرة بين دفات كتب ومقالات متعددة المصادر.. وقد أرقتني "إشكالية التغيير" الذي لا يزال رجما بالغيب بشكل أكثر إلحاحا، وكانت همي الكبير منذ حملت قلمي شمعة صغيرة أضيء بها رفقة معلمي وشيوخي معالم الطريق في نفسي والآفاق.

وشد انتباهي في السياق العدد الكبير لمعاهد ومؤسسات ضخمة نبتت مؤخرا في سائر أرجاء العالم الإسلامي وآوت بمنابرها أساتذة وباحثين يقرعون التشخيصات بالتشخيصات المضادة في اتجاه القبض على مقود القيادة لقاطرة الإقلاع والتحكم في بوصلة النهضة.

وفي إطار أبحاثي تلك حللت ضيفة افتراضية على معهد "عصام فارس للسياسات العامة والشؤون الدولية" ومن بين محاضرات عديدة عن الفساد في العالم العربي ونماذج من اختلالات المشروعات النهضوية في غياب سياسات ناجعة ترسي أخلاقيات وقيما إيجابية بانية استوقفتني محاضرة الدكتورة "كارن آمسترونج" وهي مستشرقة بريطانية ذات نظرة منصفة ومنفتحة على العالم الإسلامي، حيث قالت من بين تصريحات جمة أن الناس بحاجة لمعرفة أن الإسلام دين عالمي لا دين إرهاب.

وقد عانت المستشرقة الأمرين لمواجهة الفكر الغربي المتطرف المشيطن للمسلمين، والذي سيقود إلى مواجهة بين العالمين المسيحي والإسلامي، وسيفضي إلى ما سمته "بكارثة مدمرة" كما تقول في كتاباتها. ودعت إلى تقدير العالم الإسلامي والمسيحي لبعضيهما..

ولأن الشيء بالشيء يذكر، فقد أثارني الحديث العجيب "لأرمانوسة" وهي ابنة عظيم القبط المقوقس، التي حين حاصر المسلمون إبان الفتوحات الإسلامية مصر، وأظهرت النساء الأسيرات وبينهن ابنة المقوقس خوفهن الشديد من المسلمين ظنا منهن أنهم متوحشون وسيفعلون بهن كما الجيش الروماني، انبرت للدفاع عن المسلمين وقالت عنهم بأنهم العقل الجديد للعالم، والذي سيضع الفرق الفاصل بين الحق والباطل، كما قالت في وصف رسول الله ﷺ وأن نبيهم أظهر من سحابة في سمائها، وأن المسلمين جميعا ينبعثون من حدود دينهم وفضائله لا من حدود أنفسهم وشهواتهم، وإذا سلوا السيف سلوه بقانون، وإذا أغمدوه أغمدوه بقانون، وقالت أرمانوسة لوصيفتها أيضا: "لقد أخبرني أبي أن هذا الدين سيندفع بأخلاقه في العالم اندفاع العصارة الحية في الشجرة الخضراء". (موقع قصة الإسلام للمشرف عليه الدكتور راغب السرجاني في موضوع: (أرمانوسة بنت المقوقس من هي؟ وماذا قالت عن الإسلام والمسلمين؟).

ولأن قضايا التغيير كانت تلازمني وتناوشني وأنا الفقيرة إلا من زاد المقلين العابرين فقد استفرغت جهدي الكليل لأقرأ بعضا من كتابات الدكتور جاسم سلطان أحد رواد مشروع الاستنهاض بالعالم العربي، حيث يدعو في كتابه العميق "بداية جديدة" إلى تغيير السلوك بتغيير القناعات، وإعادة النظر في جوهر العلاقة مع الله ومع الوجود والقطع مع ثلاثية لا أستطيع / ما أقدم / وما الفائدة /؟؟ واعتماد فكر يفضي إلى بناء نهضوي يرفع المسلم وأمته.

الكتاب مفيد جدا (إضافة إلى مؤلفاته الأخرى المكرسة لهذه الإشكالية) حيث يطل بنا الكاتب عبره على ورش متطلبات وشروط الحركة الرسالية والمثمرة للدين الكفيلة بتحقيق التمكين، ذلك التمكين الذي أصبح أثرا بعد حين.

وقد أمضني الوجد والحنين لهذا التغيير البعيد، ووجدتني حائرة أبسط أمامي مصادر الأمس من كتب أسائلها من أين نبدأ؟ ومن أين السبيل إلى معالم الطريق الحق؟؟ وقلقة مستوحشة كنت أقرأ وأقرأ، وكالمسوسة سرت في طرقات الكتاب الخالد لمؤلفه حسن الندوي [ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين] أتهجى معالم وهج البدايات، وكيف غطى الوهج إياه أكثر بقاع العالم بدائية وجاهلية، ونشر في ربوعها النور والعدل والسلام. وكيف استحلنا إلى ما قاله الشاعر الكبير محمد إقبال:

أرى التفكير أدركه خمول
ولم يبق في العزائم اشتعال
وأصبح وعظكم من غير نور
ولا سحر يطل من مقال
وجلجلة الأذان بكل حي

ولكن أين صوت من بلال

وأنا أقلب القلب والوجدان في مفاوز هذا الهوان العربي الإسلامي بين كتب ومقالات شدني كتاب "غربة القرآن" للكاتب مجدي الهلالي بكل فصوله القوية المعاني والرسائل، ومن بين فقرات الكتاب التي استوقفتني وهي أقرب إلى واقعنا حد التماثل تلك التي يحكي فيها عن قوم كانوا على ظهر سفينة تاهت بهم ووجدوا أنفسهم في جزيرة نائية دون مطاعمهم التي تعودوا عليها، وغدت أوراق الشجر طعامهم الأوحد رفقة أبنائهم، وحين كبر هؤلاء الأولاد وحدثهم الآباء عن الأكلات القديمة اللذيذة والفواكه المتنوعة الشهية لم يحسوا بقيمة تلك المآكل؛ لأنهم لم يعرفوها ليكونوا صورة حية عنها..

ويقول الكاتب إن حالنا اليوم يشبه حال أصحاب الجزيرة من الأبناء؛ لأننا لا نعيش في جلد الصحابة لتسكننا محبتهم وعشقهم لكتاب الله عز وجل، وتنقدح بالتالي في وجداننا مشاعرهم وعزتهم وهمتهم وسمو أخلاقهم.. وكيف نكون كذلك يقول الكاتب وأبناؤنا على سبيل الذكر يمزقون كتاب الله صفحات ويحملونها إلى دورات المياه أثناء الامتحانات لغش آمن ونقط عالية..

وللحديث حول هذه الغربة حلقة ثانية بإذن الله.

مسافات

عندما تكتب النّساء . . .

مساحة الحياة أعمق، عندما تتحرّك، بفيض أنثوي راق يمنح للآخر أن يرى الوجود بصورة مختلفة، ويعطيها من الأبعاد ما يحقّق للإنسان في صورته المتسامية كيانا متزنا يرى فيه الحياة بكل تفاصيل الوجع والفرح على أنّهما شيء من الحياة.

يكتب الرجل وتكتب المرأة، يشعر الرجل وتشعر المرأة، يرى الرجل وترى المرأة، توهيمات أسّست للتّصنيف، وجعلت من الكتابة الجنوسية إشكالا يُقْفز به على الخوض في المواضيع الكفيلة بصناعة الإنسان الحُرّ، فمتى كانت المرأة عدوّة للرجل؟! ومتى كانت قضاياهما مختلفة، إذا ارتبطت بمعنى الحياة والوجود والمصير؟! صحيح أنّ طريقة التفكير تختلف، فليس الذكر كالأنثى لأنّ لكل منطقه ومنطلقه في فهم الأشياء وقراءتها. ولكن الأصل في الاختلاف التّكامل وليس التآكل الذي تصنعه كثير من الكتابات الداعية إلى تحرير المرأة وتقويض الرجل بحجة طغيان الفهم الذكوري على كثير من الأشياء وتحكّمه فيها، وضعف النّساء وقلة حيلتهن، مع أن الواقع يقول العكس بوصفهن، أكثر قدرة على صناعة الفارق في الحياة.

يكتب الرجال المواجع، وتصنع النسّاء الفواجع، يكتبون الأمل وتصنع الأمل أيضا وبين الكاتبتين والصناعتين، أفق يتحرك تحرّكا جميلا بالوعي، ويعطي ثمرته بحسن التفكير والتدبير متى وعت النساء والرجال على السّواء، أنّ قيمة وجودهم يكفل حضوره واستمراره القرابة الفكرية بين الجنسين لتأمين معنى، يفيد أنّ الإنسان هو امرأة ورجل يستثمران في الخير، ويكتبان لأجل انتعاشة الحسّ ورقي المعاني.

الصدامات المصطنعة كثيرة، والظلم كثير أيضا من الطرفين، ولكنّه أعتى عندما تحرّكه النّساء، بلا وعي، لماذا؟ لأنّ حجم المعاناة هنا، سيكون أكبر.

فالفعل والفاعل في واقع الحياة هنّ، وكثيرا ما يكون الرجل مفعولا به إذا ارتبط بصيغة إنّه من كيدكن إنّ كيدكنّ عظيم.

فكيد النّساء في الشّر عظيم، وكيدهنّ في الخير عظيم أيضا، ولذا كانت مساحة الكتابة، لدى المرأة أوسع في تمثّل الهمّ الإنساني أو الحديث عنه أو معايشته أو صناعته، وعندما تصنع الهمّ النّساء، وتعبّر عنه فكثيرا ما تعطي التبريرات للسلوكات الخاطئة، من منطلق الدّفاع عن النّفس، أو الانتقام لها، أو عدم فهم المحيطين بها، لما تحبّه هي وتراه، وهذه مغالطات أذهبت على الأدب وهجه، وأوقعته في إرباك كبير يصوّر الرّجل على أنّه عذابها رغم أنّه في أصل وجوده عالمها البكر للفهم والتودّد والحياة الكريمة، ويصوّرها مظلومة مهيضة الجناح رغم أنّها بطلة كل الحكايات شئنا أم أبينا، فعذاب المرأة امرأة مثلها، وفرحة المرأة، امرأة مثلها أيضا، وما الرجل في عالم النساء سوى شهريار ترهقه حكايات شهرزاد حين يطيل إليها السمع بلا وعي أيضا، وأنا هنا لا أبرّئ ساحة الرّجال وإنّما أومئ إلى أنّ فاعلية المرأة وفراستها أقوى إذا أرادت أن تجعل من المستحيل ممكنا، وعين الإمكان الانتصار للذاتها الفاعلة في تساميها وحسّها المرهف، وتمثلها للفضيلة وفهمها للحياة بتفاصيلها المختلفة، وتعبيرها عن هذا بما يفتقده إنسان اليوم ابنا وأخا وزوجا وكائنا بشريا يدرك أنّ وعي الكتابة النساء، وأنّ النساء عالم كبير مداخله مختلفة ومخارجه مختلفة إذا سطّرت بالقلم ما يزيد على التأكيد على أنّ ثقافة الصراع بين الجنسين هي من وحي قراءة خاطئة لمعنى وجود كليهما، هذا الوجود المرتبط بفلسفة التمكين لفقه التعارف الإنيوالإثنيّ والكوني بتجلياته المانعة للتآكل والضامنة للتكامل الذي يعني صنع الإضافة عندما تكتب النساء...

فالخير كل الخير في وعي النساء....إن غاب هذا الوعي فالمعنى الفناء.

دة . ليلى لعوير

ومضة

مكالمة هاتفية

التقت جارتها القديمة في حديقة.. جلستا على العشب تتبادلان الحديث...

دعت جارتها بإلحاح أن تزورها قريبا.. دلتها على عنوان بيتها بدقة.. قالت لها:

– قد ننتقل إلى بيت أكبر وأجمل في حي كذا.. ذهب زوجي وابني لإتمام عملية الشراء...

رن هاتفها.. ردت:

ـ من؟ آه ابني، إني مع خالتك فلانة في حديقة كذا.. هل تمت عملية البيع؟!

التفتت نحو جارتها قائلة:

ـ اشترينا البيت الجديد!

ألصقت هاتفها بأذنها، وقالت:

ـ مبروك علينا يا ابني.. آه تريد الفلوس؟!

همست طويلا...هبت واقفة وهي ترفع صوتها:

ـ أتسمعني الآن؟! وضعتها تحت الزربية جهة اليمين وسط الدار..

صمتت طويلا وهي تصغي إليه، ثم قالت:

ـ طيب، إذا عدت قبلي، ليس في البيت أحد سوى جدتك.. إنها صائمة كعادتها...أجل، أعددت لها الفطور.. لا تنس أن تأخذ لها حلوى كذا التي تحبها.. الأمانة في المكان المعلوم!

عادت عند المغرب.. قالت لها حماتها:

ـ بعث لي حفيدي حبيب قلبي الكثير من الحلوى.. كم دعوت له!

عاد زوجها وابنها بعد صلاة المغرب يريدان الفلوس.. تساءلت العجوز:

ـ أي فلوس؟! لقد أخذها المشتري صاحب البيت الجديد!

ـ من هو؟!

ـ ذلك الرجل الذي أرسلت معه الحلوى.. وطلب مني أن أسلمه النقود.. شككت في أمره.. لم أكن أعرف مكانها، وهو الذي دلني عليها.. بل دخل وأخذها بنفسه.. رجل في غاية الأدب، قبل رأسي وطلب مني أن أدعو له..!

صرخ حفيدها: إنه لص محتال.. تبا للهاتف.. كم رجوتك يا أمي أن تعودي إلى البيت، وألا تفشي سرنا في الحديقة!

ذة. نبيلة عزوزي

د. عبد المجيد بنمسعود

فَبِسَنَا فَلْيَفْرَحُوا

قصة قصيرة: الغنيمة

كانت لحظة فارقة بجميع المقاييس، تلك التي واتت سهام عندما تأتى لها أن تمسك بخيط رفيع في خضم الشبكة العنكبوتية المعقدة الشعاب والمترامية الأطراف، شدت بعنف وإصرار على ذلك الخيط حتى لا يفلت من بين أصابعها، ولا غرو، فقد ظلت تتعقبه بشغف كبير، خاصة وأن من شأنه أن يسلمها -إن مرت الأمور على ما يرام- إلى الضفة الأخرى، إلى "عالم الأنوار"، أي ما وراء البحار، بدأ تيار "الشات" يحملها برفق على أمواجه العذبة الدافئة، ويرسم في خيالها وبين عينيها عالما رحبا مزروعا بالأزهار والورود، وبكل ما يسر ويبهج، عالما غاية في السحر والجمال، كان شعورها بالسعادة شعورا يند عن الوصف والبيان، خاصة وأن قطار الزواج كاد أن يفوتها، إن لم يكن في حسبان ذويها في حكم الهارب منذ زمان. كانت الرغبة الجارفة في كيان سهام، في أن تتوج جلسات "الشات" الندية بالاقتران بـ"جون" تحملها على عرض صورتها في إطار بالغ الروعة والجمال، ولأجل ذلك كانت لا تدخر جهدا في الظهور لجون في مظهر المرأة الطيعة الذلول، التي تبذل قصارى جهدها، وتسخر كل عاطفتها لإسعاده وإرضائه، ولأن تكون في مستوى ما يطمح إليه ويرجوه، وكان هو يدرك هذا النزوع الجارف فيها أيما إدراك، ويوظفه في إملاء ما يريد، وقتما يريد، ويتخذها أداة طيعة لبلوغ مآربه وأطماعه، ولم تكن هذه الصورة الغريبة من المطاوعة والإذعان لتخدش صورة سهام في نظر نفسها، فصاحب الحاجة أعمى كما يقال، والحاجة في هذا السياق مشروعة على كل حال. أمر واحد فقط اعتبرت سهام أن من الضروري أن يكون شرطها وطلبها على طاولة التفاوض المتمحورة حول موضوع الزواج، هو أن يعلن جون إسلامه، وهو ما وجد صدى في نفسه، فرحب على الفور، وهو ما كان سلاحا كافيا في حوزة سهام في معركة الإقناع التي تنتظر خوضها مع أبويها اللذين عانيا ويعانيان الأمرين، جراء شبح الجدب الذي يخيم على أسرتهما، ليس فقط فيما يتعلق بطرق بابهم طلبا لسهام، بل لأخواتها الثلاث اللائي يسبقنها في الترتيب، وهن الآن راضيات بما قسم الله لهن، ويملأن حياتهن في تقديم ما يستطعنه في خدمة أسرتهن، والسهر على أبويهن اللذين وهن العظم منهما واشتعل رأسهما شيبا، فما أن بشرتهما سهام بأنها بصدد نسج علاقة مع جون الفرنسي الجنسية الذي يطلب يدها ويزمع إعلان إسلامه حتى بادر الأب بالقبول الفوري، وكاد يطير فرحا، وطفقت الأم تقبل ابنتها بحرارة، ولم يمنعها كبر سنها من إطلاق زغرودة مبحوحة سمعها الجيران فأقبلوا على الفور مهنئين، معبرين لجيرانهم عن مشاركتهم إياهم فرحتهم، واستعدادهم لبذل ما يستطيعون لمد يد العون والمساعدة لهم.

مرت الأيام جذلى مشحونة بالعواطف النبيلة، مفعمة بالآمال المحلقة في الآفاق، وكان خيال سهام، في غاية الإشراق، فهو يشتغل بدون انقطاع في رسم معالم مستقبل تحقق فيه الأحلام، ويندحر الحظ العاثر، وتنزاح الغمة عن آل البكاي، فالهشاشة وقلة ذات اليد قد عششتا في ساحتهم، ولم تكد تبرحها حتى عندما دخل ميمون سلك الوظيفة في اللحظة الأخيرة قبل استنفاد سن التوظيف، فقد ظل يجتاز المباراة تلو المباراة، حتى فتح له الباب في الرمق الأخير، وكان عليه أن يرهن سنوات من عمله لتفتيت إرث الدين الثقيل الذي كان يجثم على كاهله وكاهل أسرته، ويتجرعون مرارته في كل لحظة من لحظات حياتهم الحبلى بالمعاناة والآلام.

وفي خضم الأحلام، وعبر موجات "الشات"، وأحاديثه المعسولة الواعدة، جاءت البشرى من جون ممثلة في طلب رقم حساب سهام، ليودع فيه دفعة أولى من الأموال تعد بعشرات آلاف الدراهم، لتقع كالبلسم الشافي على نفوس أفراد آل البكاي، ويبادروا من باب شكر النعمة إلى صنع طعام للفقراء والجيران والأصدقاء.

لم تستطع سهام أن تحفظ ما حدث في إطار السرية والكتمان، فكان لا بد أن تخبر بعض من تثق فيهم من صديقاتها، اللائي أبدت إحداهن لها إعجابها وغبطتها لها، وعبرت في نفس الوقت عن استغرابها لهذا العرض السخي والشديد الإغراء الذي لم يسبق لها أن سمعت بمثله.

وما هي إلا أيام معدودات حتى جاءت البشارة الثانية، متمثلة في قرب اللحظة السعيدة، لحظة كتابة العقد وإقامة مراسيم حفل الزواج البهيج في مدينة الرباط، غير أن جون شرط الانتقال إلى هذه الخطوة بموافاة سهام له بمجموعة من نتائج الفحوص والتحاليل، التي بعث إليها بلائحة خاصة بها عبر البريد الإلكتروني، فأبدت استكثارها لتلك التحاليل، واستغرابها لبعضها، وكونها غير مألوفة في مثل الحالة التي هم بصدد اجتيازها، وهي حالة الزواج، مما دفعها إلى أن تطلب منه الاقتصار على ما هو مألوف من الفحوص والتحاليل، غير أنه أصر على طلبه، مبررا إياه بمصلحة الأسرة ومستقبلها السعيد، فما كان منها إلا القبول والإذعان، ونظرا لثقتها العمياء في جون، فإنها لم تجشم نفسها مئونة استشارة بعض الأطباء المختصين، بل سارعت إلى إنجاز المطلوب دون أدنى تأخير، ثم موافاته بالنتائج كاملة غير منقوصة.

وبعد التوصل مباشرة بتلك النتائج، بعث جون على جناح السرعة والاستعجال بدفعة سخية من الدراهم هي أضعاف السابقة، وذلك من أجل إعداد لوازم حفل الزفاف، الذي عبر بأنه يريده مدويا وباذخا، وحدد موعد قدومه إلى الرباط، لوضع اللمسات الأخيرة للحفل الموعود. وعند الوصول إلى مطار العاصمة، كانت سهام في انتظاره بمفردها حسب طلبه، للقيام بجولة تعارفية تدوم يومين في إحدى مدن الوطن، ثم الذهاب لمنزل أبويها حيث ستجري مراحل التتويج، وتنطلق الأفراح باليوم الذي طال انتظاره لسنوات عجاف، وظل الأبوان وأفراد آل البكاي ينتظرون بشغف رجوع جون وسهام، وسط جو احتفالي بهيج، ولكن اليومين انصرما، ولم يعد الزوجان المرتقبان، انتظرت الأسرة يومين إضافيين، ملتمسة العذر لهما، فجون رجل أجنبي، ولربما شده سحر المناطق المغربية وجمالها، فظهر له أن يمددا وقت الجولة التعارفية، مر اليومان، ثم يومان آخران، ثم يوم آخر، ثم بدأ صبر العائلة في العد التنازلي، وبدأت الهواجس والشكوك تفترس قلوب آل البكاي، وخاصة الأب ميمون والأم جمعة، اللذين امتقع وجهاهما بصفرة الخوف والترقب، وفتحا صدريهما للمجهول، ولأسوأ الأخبار، ما الذي جرى، وفيم هذا التأخر عن الموعد المضروب؟ أي خبر مشؤوم يخبئه لنا الغيب بين ثناياه؟ يطلب العم بوجمعة من ابنه العيد أن يؤلف له رقم أخته سهام، لكن لا رنين ولا جواب، العلبة الصوتية هي وحدها من يجيب، يعيد والد سهام المحاولة تلو المحاولة لمرات عديدة، لا جواب، عيل الصبر وأوشك الأمل على الضياع، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، لم يبق أمامنا إلا طرق باب مصالح الأمن، سارع العيد إلى القيام بالأمر، بعد القيام بالتحريات التي بذل فيها جهد مشكور، انكشف المستور، لقد تم العثور أخيرا على سهام في بيت مهجور، ولكن دون أجهزة ولا أحشاء، لقد أفرغت من كل شيء كما يصنع بالشاة تماما، وبقي جلدها، ورأسها المسمولة عيناه، ليشهد على أبشع جريمة، وأشنع غنيمة.

بنبض القلب

ذ. أحمد الأشهب

تحية إلى ربات البيوت

في بلدان الخليج العربي توجد فئة "البدون" وهي عبارة عن أشخاص قضوا عمرا طويلا في التنمية والعمل في بلدان النفط، منهم من تجاوزت مدة وجوده بتلك البلدان أكثر مما قضاه في موطن ولادته، ورغم ذلك لم يحصل على الجنسية، فهو بدون جنسية، ومنها جاءت تسمية "البدون".

وعندنا في المغرب -نحن أيضا- فئة "البدون"، ولكن من نوع آخر، إنها فئة تتمتع بكامل حقوق المواطنة، من جنسية وحق الإقامة وغيرها، ومع ذلك تحمل بطاقة هويتها كلمة "بدون". "إنهن ربات البيوت" حيث كانت بطاقتهم الوطنية، -قبل إحداث البطاقة البيومترية- تحمل أمام خانة المهنة: بدون، فهل هؤلاء النساء عاطلات فعلا، أم أن دورهن في المجتمع لا يرقى إلى درجة تجعلهن حجر الزاوية في بناء الشعوب والأمم؟ إن المرأة التي تسابق الطير في بكورها، وتتحمل مشاق تربية الأولاد والبنات ومتابعة تمدرسهن، وتقوم بكل حاجيات البيت من النظافة إلى التسوق إلى مراقبة كل صغيرة وكبيرة من تأدية الفواتير، إلى ضبط ميزانية العائلة، والسهر على راحة كل من في البيت، الزوج والأبناء، وحتى قطة البيت إن وجدت؛ فليقم أحدنا بزيارة الطبيب ولينظر من يصحب الأطفال المرضى إنهم الأمهات، وغالبيتهن ربات البيوت، أو إلى المدرسة حيث الأمهات يحملن حقائب أبنائهن ولا يعدن إلى بيوتهن إلا بعد الاطمئنان على ولوجهم قاعات الدرس.

إني لا أنكر دور النساء العاملات في تطوير الوطن وتنمية الاقتصاد، ولا روحهن العالية في أداء المهام المنوطة بهن أحسن القيام، بل أحيانا أحسن من الرجال، لكن الذي يشفع لهن أن المجتمع يعترف بخدماتهن، فهناك نقابات تُسمِع صوتهن، ومنظمات دولية ووطنية تدافع عنهن، بينما تبقى الجهود المبذولة من أجل النهوض بأوضاع ربات البيوت جد محدودة، فشخصيا لو كنت وزيرا للأسرة لأحدثت جائزة وطنية رفيعة لربات البيوت، ولرفعت مذكرة إلى الأمم المتحدة لإحداث جائزة في حجم جائزة نوبل لهاته الفئة المكافحة...!!

إدمان الهواتف الذكية مرتبط بآلام الرقبة والظهر

حذّرت دراسة أمريكية حديثة، من أن الاستخدام المفرط للهواتف الذكية، مرتبط بتزايد الإصابة بآلام الرقبة وأعلى الظهر، بسبب اتخاذ وضع سيئ للجسم أثناء استخدامها لفترات طويلة.

الدراسة أجراها باحثون بمركز "سيدراس سيناي" الطبي في الولايات المتحدة، ونشروا نتائجها اليوم الأحد، في دورية (The Spine) العلمية.

وكشفت الدراسة أن بعض الأشخاص، خاصة صغار السن، الذين لم يكن من المعتاد أن يصابوا بآلام الظهر، يتعرضون للانزلاق الغضروفي ولمشكلات تتعلق باستقامة الجسم عن الاستخدام المفرط للهواتف الذكية.

ويقترح القائمون على الدراسة تغييرات بسيطة في أسلوب الحياة لتخفيف الضغط على الرقبة، مثل:

- حمل الهاتف المحمول أمام الوجه عند مستوى العين أثناء استخدام الرسائل النصية.
- أخذ استراحات متكررة أثناء استخدام الهاتف المحمول، وممارسة بعض التمارين التي تقوي عضلات الرقبة والكتفين.

وكانت دراسات سابقة تحدثت عن أضرار الاستخدام المفرط للهواتف الذكية على الدماغ، وبالتالي زيادة معدلات القلق والاكتئاب، قال الباحثون إن المشكلة ليست فى الهواتف الذكية، ولكن في طريقة استخدامها بشكل صحيح.

وحذرت الدراسات من أن إفراط طلاب الجامعات فى استخدام الإنترنت والهواتف الذكية ينتج عنه زيادة النزاعات العائلية بالمنزل؛ ما يؤثر سلبًا على التواصل بين أفراد الأسرة.

إيسيسكو: مجالات التربية والعلوم والثقافة الأكثر حيوية في بناء النهضة الشاملة

دعا عبد العزيز التويجري المدير العام لـ المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو) -في رسالة له بمناسبة الذكرى الـ 35 لتأسيس المنظمة إلى النهوض بالثقافة الإسلامية معتبرا أن مجالات التربية والعلوم والثقافة "هي الأكثر حيوية في بناء النهضة الشاملة على أسس متينة، للانتقال بالعالم الإسلامي إلى مرحلة جديدة تعتمد المناهج العلمية الحديثة وسائلَ لتحقيق التقدم وأدواتٍ للنهوض الحضاري، وصولا إلى امتلاك الشروط العلمية للولوج إلى مجتمع المعرفة".

كما دعا التويجري أيضا لإثراء الثقافة الإسلامية وإبراز خصائصها والتعريف بمعالمها في الدراسات الفكرية والبحوث العلمية والمناهج التربوية، من أجل التكامل والترابط بين المنظومات التربوية بالدول الأعضاء، ودعم جهود المؤسسات التربوية والعلمية والثقافية للمسلمين بالدول غير الأعضاء.

"المجلس الإسلامي" بفرنسا يدعم "رفض الإقصاء"

دعا مجلس الديانة الإسلامية بفرنسا (CFCM) مسلمي البلد إلى "أداء واجبهم الوطني بالتصويت في الانتخابات، باعتبار المرحلة مرحلة حسمٍ سترهن البلد لسنوات قادمة".

ودعا المجلس مواطني فرنسا المسلمين، في بلاغ له بمناسبة الانتخابات الرئاسية، إلى "التعبئة من خلال تغليب قيم الانفتاح والأخوة والتضامن، مع الاتحاد ضد نهج الإقصاء والكراهية، بعيدا عن أي وصم قد يهدد التماسك الوطني وقيم التعايش المشترك".

وأشار المجلس إلى لقائه في 19 أبريل بالمرشح "إمانويل ماكرون"، الذي عرف حوارا "تميز بجو من الانفتاح والهدوء حول مختلف القضايا التي تمس العقيدة الإسلامية في فرنسا".

مبادرة أممية لاستئناف مفاوضات حول الصحراء المغربية

أعربت الأمم المتحدة عن استعدادها لاستئناف المحادثات السياسية حول منطقة الصحراء المغربية، بعدما سحبت جبهة البوليساريو قواتها من منطقة الكركرات.

وقال ستيفان دوجاريك المتحدث باسم الأمم المتحدة إن المراقبين العسكريين للأمم المتحدة أكدوا أن قوات البوليساريو نفذت عملية الانسحاب من الكركرات قرب الحدود الموريتانية معتبرا أن "هذا الإجراء يجب أن يعزز احتمالات خلق بيئة لاستئناف عملية التفاوض بديناميكية وروح جديدتين"

رئيس النمسا يدعو كل النساء لارتداء الحجاب لمواجهة "الإسلاموفوبيا"

في وجهة نظر على النقيض للرأي العام في أوروبا، ظهر فيديو لرئيس النمسا ألكسندرفان دير بيلين وهو يدعو كل النساء لارتداء الحجاب لمواجهة "ظاهرة الإسلاموفوبيا" أو الخوف المرضي من الإسلام، والتي تجتاح أوروبا تحت وقع أزمتي اللاجئين والإرهاب.

حيث نقل موقع العربية نت عن الرئيس النمساوي قوله: " تواصل هجمة الإسلاموفوبيا بإيقاعها الراهن، سيقرب اليوم الذي ندعو فيه كل النساء للبس الحجاب دعما للمسلمات".

وشدد رئيس النمسا، الذي تولى الحكم قبل 100 يوم، في تصريحاته، على حق النساء، ومن بينهن المسلمات، في ارتداء ما يرغبن.

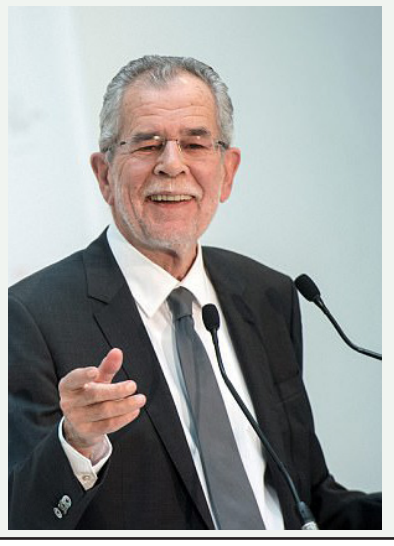

مجهولون يلقون زجاجات حارقة على مسجد في ألمانيا

ألقى مجهولون زجاجات حارقة على أحد الجوامع في جنوب غرب ألمانيا، وهو الحادث الثالث من نوعه في غضون أسبوعين.

وذكرت وسائل إعلام أن مسجد أيوب سلطان التابع للاتحاد التركي الإسلامي لرئاسة الشؤون الدينية، تعرض لهجوم في مدينة "فايل أم راين" الألمانية قرب الحدود مع سويسرا وفرنسا، حيث تعيش هناك جالية تركية كبيرة.

الغارديان: البابا فرانسيس يمد يده للأقباط في مصر بعد الهجمات

إثر زيارة البابا فرانسيس لمصر عنونت صحيفة الغارديان مقالا لها "البابا فرانسيس يمد يده للأقباط ويزور مصر بعد الهجمات".

وذكرت الصحيفة أن البابا فرانسيس في زيارته هاته يعرب عن تضامنه مع الأقباط ويوصل رسالة سلام ووحدة في وقت حرج للعلاقات الطائفية في البلاد.

وكانت مصر قد شهدت تفجيرين بالكنيستين المسيحيتين

الصين تمنع تداول اسم الرسول والإسلام والقرآن في تركستان الشرقية

أعلنت السلطات المحلية في تركستان الشرقية المعروفة باسم منطقة "شينجيانغ" في الصين، الخميس الماضي، أنها حظرت قائمة أسماء إسلامية، مكونة من 29 اسما، تمنع بموجبها الأسر من إطلاق أسماء مثل محمد، إسلام، قرآن، جهاد، مدينة، مكة وغيرها .. على أطفالهم حديثي الولادة.

وقال مسؤول في مكتب الأمن العام في محافظة "كاشغار"، الواقعة جنوبي الإقليم، طلب عدم الكشف عن اسمه لحساسية القضية، إن "بعض الأسماء حظرت في الإقليم بسبب ارتباطها بخلفية دينية".

وأضاف أن "الأطفال حديثي الولادة، والذين سيحملون هذه الأسماء، سيتم منعهم من الحصول على الرعاية الصحية الممولة من الحكومة، ومن التعليم".

ويذكر أن إقليم شينجيانغ يعيش فيه حوالي 23 مليون مسلم، بحسب إحصاءات رسمية، ويطالب سكان الإقليم بالاستقلال عن الصين، ويعتبرون السيطرة الصينية "احتلالاً لبلادهم منذ (66) عاماً"، وبسبب شهد الإقليم منذ سنوات عديدة، اشتباكات دامية، كانت أشدها عام (2009)، وقتل فيها حوالي (200) شخص.

عين على الأحداث

الجالية المسلمة أمام اقتراحات المرشحين للانتخابات الرئاسية الفرنسية

عرضت جريدة "لوفيغارو" الفرنسية مقارنة بين اقتراحات أهم المرشحين للانتخابات الرئاسية الفرنسية، عن مبدأ العلمانية وكيفية التصدي للتطرف في فرنسا، لا سيما وأن أصوات الجالية المسلمة ذات وزن ثقيل في الاستحقاق الرئاسي، ولا تزال التكهنات قائمة عن المرشح الذي ستصوت له في هذا الاستحقاق الهام.

وبداية، عاد المرشح مانويل ماكرون رئيس حزب "أون مارش" تركيز خطابه على العلمانية، بعدما حاد عن العادة الفرنسية وروج لفترة طويلة للعلمانية على الطريقة الانغلوساكسونية، ودافع المرشح عن مبدأ العلمانية، مؤكداً ضرورة: "تخصيص تدريب وتأهيل جامعي للأئمة في فرنسا، حتى يكونوا على توافق تام مع مبادئ الجالية الفرنسية"، كما شدد على: "عدم التواني عن تفكيك كل الجمعيات، التي تعمل تحت غطاء الدين، وتستهدف الجمهورية الفرنسية، وعلى إقفال كل المساجد التي تمجد الإرهاب".

أما المرشح اليميني عن حزب الجمهوريين فرانسوا فيليون، فيرى أن: "الإرهاب الإسلامي ليس سوى الشكل الأكثر عنفاً للإسلام السياسي، لذلك وجب التصدي للظاهرة في مجملها"، ويؤيد المرشح اليميني إقرار قانون حظر ارتداء اللباس الساتر للبدن، بينما سيترك للجامعات الفرنسية حرية السماح بارتداء الحجاب أو منعه في حال فوزه، وتحدث فيليون عن ضرورة حظر المنظمات الدينية، التي تؤيد التيار السلفي أو حركة الإخوان المسلمين، والسماح لقوات الأمن بإقفال دور العبادة، التي تهدد أمن البلاد أو نظامه الداخلي.

وفي اقتراحات أكثر تشدداً، طالبت رئيسة الجبهة الوطنية مارين لوبين بمحاربة الطائفية في فرنسا، وتوسيع نطاق تطبيق قانون 2004 لمنع الرموز الدينية، وإدراج بند في قانون العمل، يقضي بوجوب احترام الحيادية الدينية والعلمانية، وفرض اللغة الفرنسية كلغة للوعظ في المساجد، وإغلاق دور العبادة السلفية، ومراقبة الجمعيات التي تتلقى أموالا حكومية، وتأسيس هيئة لمراقبة المتطرفين المسجونين.

وفي وسط كل ذلك اللغط، يظل رئيس جبهة اليسار الفرنسية، الوحيد الذي يدين: "استغلال العلمانية ضد الدين الإسلامي"، غير أنه صرح مراراً رفض إقرار قانون لمنع ارتداء الحجاب في فرنسا، رغم تأييده لفكرة منع الحجاب، ودافع المرشح اليساري عن ضرورة احترام حرية العقيدة، وممارسة الشعائر الدينية، والتصدي لكل أنواع الطائفية في المجتمع الفرنسي.

تجدر الإشارة إلى أن كل المشرحين للرئاسة الفرنسية، باستثناء مارين لوبين، قد اجتمعوا بقادة المجلس الفرنسي للديانة الإسلامية، أما الجالية المسلمة التي تشكل حوالي ستة ملايين نسمة، فكانت غالباً تصوت لصالح اليسار، غير أنها شعرت بكثير من الخذلان من ولاية الرئيس اليساري الحالي فرانسوا هولاند، وإلى الساعة، لا يزال المرشحون يجهلون إلى أي كفة سيميل الناخب المسلم، بعدما نوهت مؤسسة ايفوب للإحصاءات إلى أن: "بعد عام 2012 م، ارتكب اليسار الفرنسي خطأ باعتقاده أن الجالية المسلمة ستظل في صفه إلى الأبد".

لآلئ وأصداف

يلتقطها أ.د. الحسن الأمراني

في الحب الشريف، مرة أخرى

كان الشاعر الجاهلي زهير بن أبي سلمى إذا ضاقت به نفسه خرج إلى البرية. وقد قال يوما ولده كعب: "اخرج بنا إلى البرية، فإن الشعر بري". وأنا، كلما ضاقت بي النفس التمست عزاءها، بعد كتاب الله عز وجل، فيما صنفه أسلافنا من رائق القول وبديع الكلام، ولاسيما منهم أصحاب الحس الإيماني الرقيق، والعلم الدقيق، والبيان الشفيف، والشعر اللطيف. وقد وجدت بعض الضيق في نفسي، ففتحت كتاب لسان الدين بن الخطيب: "روضة التعريف بالحب الشريف"، بتحقيق شيخنا الدكتور محمد الكتاني، وهو كتاب لا يمل منه، ويغني الظمآن إلى النور والحب مثلي عن كثير مما تقذف به المطابع في عصرنا هذا من سخيف القول، ورديء الكلام. وقد وقفت عند القسم الرابع من الكتاب، الذي سماه: "الفرع الصاعد في الهواء على خط الاستواء"، والذي يشتمل على قشر لطيف، وجرم شريف، وأفنان ذوات ألوان، قنوان وغير قنوان، وطبع نضيد وجني سعيد. فكان مما قال في الفصل الأول، في ذكر مقام المعرفة: "فصول في المعرفة تغازل بها عيون الإشارة، إذا قصرت عن تمام المعنى ألسن العبارة، ولله در القائل:

وإذا العقول تقاصرت عن مدرك
لم تتكل إلا على أذواقهـــا

المعرفة اختراق المراتب الحسية، والنفوس الجنسية، والعقول القدسية، والبروز إلى فضاء الأزل، إذا فني من لم يكن، وبقي من لم يزل، مع عمران المراتب، ورؤية الجائز في الواجب:

ومن عجب أنـي أحـنّ إليـهـمُ
وأسأل شوقـا عنهـم وهـم معي
وتبكيهمُ عيني وهـم في سوادهـا
ويشكو النوى قلبي وهم بين أضلعي".

وعند هذا الحد توقفت عن متابعة التعريف بالمعرفة، فقد حملني البيتان إلى مرحلة فاصلة بين الصبا والشباب، حيث كان والدي رحمه الله ينشد هذين البيتين ضمن قصيدة يتغنى بها، وقد حفظتها منه، وفتحت لي أفقا جديدا في ميدان الشعر، وشكّلت، على غير وعي مني، الخط العام الذي طبع شعري كله بعد ذلك. وهذه أبيات منها:

تملكتم عقلـي وطرفي ومسمعـي
وروحي وأحشائي وكلي بأجمعـي
وتيتموني في بديع جمالـكم
فلم أدر في بحر الهوى أين موضعـي
وأوصيتموني لا أبـوح بسركـم
فبـاح بما أخفي تـفـيُّضُ أدمعـي
فلما فنى صبـري وقل تجلدي
وفارقني نومي وحرمت مضجعـي
أتيت لقاضي الحب قلت أحبتـي
جفوني وقالـوا أنت في الحب مدعِ
وعندي شهود بالصبـابة والأسى
يزكّون دعوائِي اذا جئت أدعـي
سهادي وشوقي واكتئابي ولوعتي
ووجدي وسقمي واصفراري وأدمعي
ومن عجب أنـي أحـن اليهـم
وأسأل شوقـا عنهم وهم معـي
وتبكيهـمُ عيني وهم في سوادهـا
ويشكو النوى قلبي وهم بين أضلعي
وإن طالبـوني في حقـوق هـواهُـمُ
فإنـي فـقيـرٌ لا عليّ ولا معي

ولم أكن أول أمري أعرف لمن القصيدة، ولا حتى أهتمّ بمعرفة ذلك. ثم إني عرفت واستقر في ذهني في مرحلة الدراسة الثانوية أن القصيدة لشاعر المغرب في العصر المريني مالك بن المرحل. فازددت اعتزازا بأن لنا بالمغرب شاعرا كمالك بن المرحل، وازددت اعتزازا يوم أن قرأت له أشعارا أخرى تصور نجدة المغاربة للأندلسيين، تلبية لنداء الجهاد المقدس، حيث قال، من قصيدة:

شهد الإله وأنت يا أرض اشهدي
أنا أجبنا صرخة المستنجد
لما دعا الـداعـي وردد معلنـا
قمنـا لنصرتـه ولم نتردد

وعندما قرأت البيتين من القصيدة العينية، انتقل بصري إلى الهامش، من ص 353 من الكتاب، وقد وجدت المحقق، حفظه الله، يقول: "الشعر لمهيار الديلمي (428 هـ)، أسلم على يد الشريف الرضي، وكان متشيعا". وليس الدكتور الكتاني ممن يتهم في التحقيق، وهو العالم الجهبذ، والمحقق المدقق، ولكن هذه الإشارة، التي زحزحت علما ترسخ في نفسي منذ شرخ الشباب، واستقر في قلبي أن هذا الشعر هو لشاعر مغربي، وطالما حاججت بعض المشارقة بذلك، كل ذلك دفعني إلى محاولة التحقق من نسبة القصيدة، فإذ بي أجد أن هذه القصيدة التي نسبت عندنا، نحن المغاربة، إلى مالك بن المرحل، تنسب أيضا إلى شاعر صوفي آخر، سبق لنا أن عرضنا له من قبل في حلقة ماضية، وهو أبو مدين الغوث. وهكذا تنازع الرواة في شأن هذه القصيدة المدحية فنسبت إلى ثلاثة شعراء، اثنان مغربيان، والثالث مشرقي، وهو مهيار الديلمي.

إن ترجيح قول على قول في هذه المسألة يحتاج منا إلى مزيد من التدقيق والتحقيق، وعرض دواوين الشعراء الثلاثة، والنظر فيما قال المحققون والدارسون، وهو أمر لا أريد أن أثقل به على قراء الجريدة، فليس من شأن الجريدة أن تشغل الناس بمثل هذا، وحسبنا أخذ العبرة، والتماس التوجيه إلى الهدي الرشيد، والمعرفة طريق إلى ذلك الهدي الموصل إلى الكمال الذي يتجلى عنده الجمال. ولنختم بما قال ابن الخطيب عن المعرفة: (المعرفة مقام سامي المنعرج، عاطر الأرج، ينقل إلى السعة من الحرج، ومن الشدة إلى الفرج)، والحمد لله رب العالمين.

إلى أن نلتقي

الأستاذ إدريس اليوبي: الرجل الجاد المحبوب

انتقل إلى رحمة الله تعالى الأستاذ إدريس اليوبي وهو في أوج العطاء التربوي والعلمي والإداري والخيري، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يرحمه رحمة واسعة، وأن يغفر له ويسكنه فسيح جنانه مع النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين، وأن يرزق ذويه الصبر ويضاعف لهم الأجر، وأن يتولى ذريته بحفظه وعنايته ولطفه، وأن يلحقنا به مؤمنين مسلمين غير مبدلين ولا مغيرين.

عرفته رحمه الله حينما كان طالبا في الجامعة، في ثمانينيات القرن الميلادي الماضي، وكنت إذاك حديث عهد بالتحاقي للتدريس في الجامعة، عرفته طالبا متصفا بأخلاق عالية، بشوشا سمحا، مقدِّرا لأساتذته، مجتهدا غاية الاجتهاد، محبا للعربية، ملتزما بدينه، ولفارق السن البسيط بيننا نمت منذ ذلك الحين صداقة خالصة، استمرت إلى أن وافته المنية رحمه الله تعالى.

منذ ذلك الحين وأنا أعرف فيه مجموعة من الخصال أذكر منها ما يلي:

– البشاشة في الوجه: أينما التقيتَ بالأستاذ إدريس اليوبي رحمه الله، بهرتك بشاشة وجهه، وإشراق محياه، وطلاقة لسانه بالكلام الطيب والثناء الحسن، ليس مداهنة أو مداراة أو مراءً، ولكن عن صدق ومحبة وتقدير. هكذا كان مع أصدقائه وأساتذته وتلامذته، ومع من يعرف ومن لا يعرف.

– التفاني في العمل والإبداع فيه: كما عرفته مجتهدا وهو طالب، بقيت هذه الخصلة ملازمة له طول حياته، فكل من عرفه بحق، أدرك أنه في غاية التفاني في العمل حينما كان أستاذا مدرسا، وحينما كان إداريا في عدد من المؤسسات، كما أن هذا الاجتهاد لم يكن يخلو من لمسات إبداعية، يتيقن من هذا كل من زاره في القسم وهو يزاول التدريس، أو من زاره في المؤسسة التي كان يديرها، ووقف عن قرب على الأنشطة التي كان يقوم بها أو التي كان يطمح في إنجازها.

زرته رحمه الله ذات مرة، باعتباره مديرا لمؤسسة تعليمية، وعضوا ومسؤولا في جمعية المديرين، لاستقراء وجهة نظره في موضوع تنظيم أنشطة للتلاميذ في اللغة العربية بالتعاون مع فرع فاس للجمعية المغربية لحماية اللغة العربية، في سياق مشروع للجمعية كانت تنوي تفعيله بالتعاون مع أكاديمية التربية الوطنية بفاس، فكانت له رحمه الله العديد من الاقتراحات في الموضوع، انطلاقا من واقع تجربته المتميزة في التربية والتدريس والإدارة.

– توظيف الوقت الفائض: لم يكن رحمه الله يفصل بين العمل الرسمي وبين ما يمكن أن يكون وقتا فائضا لديه، بل على العكس من ذلك، كان كل وقته داخلا في العمل الرسمي حتى وإن لم يكن كذلك، ولذلك كان يوظف من وقته ما شاء الله له من أجل العمل التطوعي أو الدعوي، ومن ثم عمل متطوعا بكل نشاط وتفان في أكثر من مجال، وأكثر من جمعية محتسبا ذلك عند الله تعالى.

– الطموح: قبل حوالي سنة، في لقاء عابر بإحدى أزقة فاس العامرة، وفي سياق حديث عما ينبغي أن يكون أو يُنجز، حدثني أنه ما زال يفكر في إعداد الدكتوراه، خاصة أن أحد أساتذته كان يلح عليه في ذلك كلما التقى به، لكن يصرفه عن ذلك –كما قال– كثرة المشاغل والالتزامات، ثم عبر بهيئة المستفسر، وهو بشوش مبتسم كعادته، "شْرَفْنا وحْنا مازال نفَكْرُ في الدكتوراه". فقلت له إن طلب العلم يشرِّفُ (من الشَّرَف) صاحبه، دون أن يُشَرِّفه، (من الشَّرْف، بالمعنى الدارج، أي الهرَم، والفرق بينهما في الاستعمال الدارج كما هو معروف هو تفخيم حرف الراء وترقيقه. وبالمناسبة فإن المعنى الدارج فصيح أيضا. جاء في المعاجم: "الشَّرْفُ جمع شارِفٍ وهي الناقة الهَرِمةُ المُسنة، وسهم شارِفٌ إذا وُصِف بالعتْق والقِدَم).

رحم الله الفقيد رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جنانه، ورزق ذويه الصبر، وبارك في ذريته، وجعلهم من الصالحين، وألحقنا به مؤمنين مسلمين.

أ.د. عبد الرحيم الرحموني